وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القســـم: علوم إنسانية
الشعبـــة: تاريـــــــخ

تكوين النخب الجزائرية في السياسة الثقافية الفرنسية

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

إعـداد الطالب :
محمد بن عامر

إشراف الأستـــــاذ:
د. حميد قريتلي

لجنة أعضاء المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
	أستـــاذ محاضر –ب	رئيسا
حميد قريتلي	أستـــاذ محاضر –ب	مشرفا ومقررا
	أستـــاذ محاضر –ب	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:1442هـ-1443هـ / 2021-2022 م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القســـم: علوم إنسانية
الشعبـــة: تاريـــــــخ

تكوين النخب الجزائرية في السياسة الثقافية الفرنسية

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

إعـداد الطالب :
محمد بن عامر

إشراف الأستـــــاذ:
د. حميد قريتلي

لجنة أعضاء المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
	أستـــاذ محاضر –ب	رئيسا
حميد قريتلي	أستـــاذ محاضر –ب	مشرفا ومقررا
	أستـــاذ محاضر –ب	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:1442هـ-1443هـ / 2021-2022 م


بسم الله الرحمن الرحيم

شـكـر و عـرفـان

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم أمّا بعد:

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف « قريتلي حميد » الذّي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه طيلة مدة إنجاز هذا العمل، فبارك الله فيه وجزاه عنّا خير الجزاء.

كما نتقدم بالشكر إلى كل الأساتذة الذّين استفدنا منهم طيلة مشوارنا الدراسي.

والشكر الموصول إلى كل من قدّم لنا يد العون لإتمام هذه المذكرة .

-الحمد لله أولا و أخيرا -

الإهداء

إلى منارة العلم و الإمام المصطفى .. إلى الأمي الذي علم المتعلمين .. إليك يا حبيبي يا رسول الله .

إلى من وصى عليهما الرحمن .. اللذين جادا عليا بالعطاء و الحنان و لن أوفيهما حقهما مهما مدحتهما : "أبي و أمي" .

إلى زوجتي و أولادي .

إلى جميع إخوتي .

إلى كل من جمعت بيني و بينهم الأقدار .

إلى مسرى المختار، أولى القبلتين و ثالث الحرمين .. أقصانا الأسير .

مـحـمّـد

قائمة المختصرات :

1 - باللغة العربية:

ص : صفحة .

ص ص : من الصفحة إلى الصفحة .

ط : طبعة .

ج : جزء .

تر : ترجمة .

د ت : دون تاريخ .

ش . و . ن . ت : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

2 - باللغة الفرنسية:

A NEP : L´ AGENCE NATIONALE d édition et DE Publicité .
P : Page .
P P : PLUSIEUR Pages .
Op.cit : ouvrage précédemment citée .
Ibid : au même endroit .
Imp : imprimerie .

المقدمة

مقدمة :

مارس الاستعمار الفرنسي في الجزائر واحد من أبشع أنواع الاضطهاد في العصر الحديث لبلاد لا تمت لفرنسا بصلة فكرية أو ثقافية أو عرقية، وكان طبيعيا أن ينجر عن ذلك جرائم مختلفة من أخطرها على المدى البعيد هي الجرائم الثقافية والفكرية ، وذلك في إطار سياسة ثقافية ذات إستراتيجية قائمة بذاتها ،هدفها الهيمنة وتكريس الاستعمار الفرنسي بالجزائر.

كانت هذه السياسة هي إحدى الخطط التي انتهجتها فرنسا في مستعمراتها وبالأخص في الجزائر لتوطيد نفوذها بالمنطقة طلية فترة الاحتلال ،وذلك بتبني سياسة ثقافية استعمارية تقوم على محاربة الثقافة المحلية للجزائريين عن طريق القضاء على اللغة العربية وحصر الدين الإسلامي في أضيق نطاق، كما قامت إدارة الاحتلال بعملية تفكيك لكل الرموز الثقافية المحلية بدءا بالمسجد ومرورا بالزوايا ومختلف مؤسسات التعليم التقليدي التي كانت تحتضن مقومات المجتمع الجزائري وفي مقدمتها الدين الإسلامي واللغة العربية ، خاصة لما أدرك المحتل أن سر ما يواجهه من صمود ومقاومة مرده تمسك المجتمع بهويته ،فانصبت جهود الاستعمار على تشريح الدين الإسلامي والطعن فيه وترويج لمعادلة قوامها الإسلام يساوي التخلف ، وفي نفس الاتجاه راحت تحارب اللغة العربية بالتضييق عليها ومنع تدريسها بغلق المؤسسات التقليدية وتشويه التاريخ العربي الإسلامي.

وحتى تجسد هذه السياسة الثقافية على أرض الواقع بدأت فرنسا بفتح مدارس عربية فرنسية لتعليم الأطفال الجزائريين ، كون أن المدرسة هي المؤسسة الوحيدة التي تستطيع تعليم الطفل منذ الصغر على غير لغته وتربيته بثقافتها وأفكارها وهذا من أجل خلق جيل هجين ممزق وتائه بين حضارتين مختلفتين وقتل روح المقاومة لدى التلاميذ المتمدرسين في المدارس الحكومية التي أنشأتها الإدارة الفرنسية ، فالمدرسة هي الآلية التي يعوّل عليها لتبيت الوجود الفرنسي في الجزائر فأنشأت حتى الكليات التي انضمت لا حقا إلى الجامعة .

كان الهدف من تعليم الجزائريين تكوين جماعة مثقفة ثقافة فرنسية وتكون موالية وخادمة للإدارة الاستعمارية فظهرت كتلتان متمايزتان من المثقفين ساد بينهما صراع لغوي وثقافي ، وكلاهما تأثر بالظروف السائدة داخل وخارج الجزائر.

دواعي اختيار الموضوع

من الأسباب الذاتية التي دفعتنا لاختيار الموضوع هو اهتمامي بالجانب الثقافي لتاريخ الجزائر ورغبتي في إبراز نتائج تلك السياسة الثقافية الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا في الجزائر ، فضلا عن فضولي في المساهمة ولو بحظ يسير في الكتابة عن تكوين النخبة الجزائرية ودورها في السياسة الثقافية الفرنسية .

أما بالنسبة للأسباب الموضوعية فتتمثل في محاولة فهم تلك السياسة الثقافية الاستعمارية وإبراز موقف الجزائريين منها وعلى رأسهم الحركة الوطنية باتجاهاتها .

بالإضافة إلى الأهمية التي يكتسيها موضوع النخبة المثقفة وتأثيرها في مسار نضال الحركة الوطنية السياسي والثقافي ضد المشروع الفرنسي في الجزائر، ونظرا لموقفها من مختلف المشاريع التي طرحتها فرنسا وما ترتب عن ذلك كون أن هذه المواقف قد يكون لها دور في بقاء الاستعمار مدة أطول.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يلقي الأضواء على جانب هام من السياسة الاستعمارية في الجزائر خاصة في شطرها الثقافي والتي تبدو حسب المنظور الاستعماري على أنها عملية نقل المدينة والحضارة إلى الشعب الجزائري غير أنها في الواقع مخطط لضرب هذا المجتمع في صميم انتمائه وهي هويته الثقافية.

بالإضافة إلى أن الموضوع يعالج مسألة هامة وهي قضية النخبة، تكوينها في الثقافة الفرنسية ، اتجاهاتها ومواقفها من بعض القضايا .

لذا أردنا من خلال هذا البحث الكشف عن دور النخبة في السياسة الثقافية الاستعمارية .

الإشكالية :

هناك من يذهب إلى القول أن الصراع الذي شهدته المرحلة الاستعمارية في الجزائر ثقافي في جوهره وإن اتخذ شكلا سياسيا مباشرا ، لذلك مهم جدا دراسة السياسة الثقافية

الاستعمارية في الجزائر والدور الذي لعبته في ترسيخ الوجود الفرنسي في الجزائر، حيث عمدت إدارة الاحتلال إلى القيام بدراسات شاملة للمجتمع الجزائري شملت الجماعة القلبية والأسرة ، التعليم م انتهجت ساسة ثقافية مخطط لها .

ومن هنا يمكن طرح الإشكالية التالية :ما علاقة تكوين النخب الجزائرية بالسياسة الثقافية الاستعمارية ؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي :

- مالمقصود بالنخبة وماهي مؤثرات تكوينها ؟

- ماهي أبرز التيارات الفكرية للنخبة وفيم تتمثل وسائل نضالها ؟

- ماهي الآليات والوسائل التي اعتمدتها فرنسا في تنفيذ سياستها الثقافية ؟

-ما الأهداف الحقيقة التي ترمي فرنسا من وراء هذه السياسة الثقافية ؟

- ما حقيقة موقف النخبة من سياسة فرنسا الثقافية ؟

الدراسات السابقة للموضوع :

لا نكاد نجد للموضوع دراسات سابقة تتحدث عن قضية تكوين النخب وعلاقتها بالسياسة الثقافية الاستعمارية ماعدا تلك التي تتطرق لموضوع النخب على حدى وأخرى تتحدث عن سياسة فرنسا الثقافية في الجزائر؛ سواء كان ذلك في الكتب أو في الرسائل الجامعية .

المنهج المتبع في الدراسة :

اعتمدنا في هذا البحث على منهج يتلاءم وطبيعة الموضوع، وهو المنهج التاريخي التحليلي الذي يحلل الأحداث التاريخية الخاصة بالجانب الثقافي للمجتمع وتكوين النخب في تلك السياسة الثقافية الاستعمارية ، وعرض تلك الأحداث وفق طريقة تحليلية للأوضاع وما ميزها من مواقف هذا من أجل معرفة وتقييم مضمون تلك السياسة الثقافية الاستعمارية وردود الفعل الوطنية اتجاهها.

بالإضافة إلى المنهج الوصفي الذي ساعدنا على التفسير الموضوعي لمضمون الرسالة.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

و لإعطاء دراسة تفي بالإجابة على تلك التساؤلات المبينة في الإشكالية المطروحة قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة وثلاث مباحث كل مبحث يندرج ضمنه بعض المطالب و في الأخير خاتمة .

المقدمة : والتي من خلالها تم التعريف بالموضوع وإبراز أهميته وطرح إشكاليته وتحديد خطته

المبحث الأول: جاء تحت عنوان **تكوين النخب الجزائرية ومرجعياتها الفكرية**

تضمن هذا المبحث ثلاث مطالب ، الأول بعنوان مفهوم النخبة(لغة واصطلاحا) أما المطلب الثاني فتطرق إلى مؤثرات تكوين النخبة والمبينة في العناوين الفرعية وهي: الثقافة ودورها في تكوين النخب – الدين الإسلامي وتأثيره في تكوين بعض النخب أما العنوان الفرعي الثالث فهو الاستعمار وتأثيره في تكوين النخب ، أما المطلب الثالث معنون بالاتجاهات الفكرية للنخبة ووسائل نضالها تضمن عنوانيين فرعيين :الأول اتجاهاتها الفكرية والثاني ووسائل نضالها .

المبحث الثاني: جاء تحت عنوان **السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر**

تضمن هذا المبحث مطلبين يتناول المطلب الأول وسائل السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر ومنها محاربة اللغة العربية وسياسة فرنسا تجاه التاريخ الإسلامي والسياسة التعليمية بالإضافة إلى توظيف الإعلام والفن لتنفيذ السياسة الثقافية الاستعمارية ، أما المطلب الثاني فعنوانه أهداف الثقافة الفرنسية في الجزائر ومنها الأهداف السياسية والأهداف الاقتصادية والأهداف الاجتماعية .

المبحث الثالث: فجاء تحت عنوان **النخبة الجزائرية والثقافة الفرنسية**

تناول المطلب الأول منه أثر المدرسة الفرنسية في ترسيخ الثقافة الفرنسية وفيه عنوانين فرعيين الأول مهمة المدرسة الفرنسية أما الثاني إستراتيجية إدارة الاحتلال لتوظيف المدرسة كأداة توغل في المجتمع الجزائري .

يليه المطلب الثاني بعنوان موقف النخبة من السياسة الثقافية الاستعمارية تناول هذا المطلب عنوانيين فرعيين الأول موقف النخبة المحافظة والثاني موقف النخبة المفرنسة

الخاتمة :تضمنت مجموعة من النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث.

أهم المصادر والمراجع

لإنجاز هذا البحث استعنا بجملة من المصادر والمراجع باللغتين العربية والفرنسية وكذا بعض الدراسات الأكاديمية والرسائل الجامعية ومنها : الصحف والجرائد ونخص بالذكر الشهاب والبصائر بالإضافة إلى صحيفتي إيكو دالجي وايكو دوران، وقد استفدنا من هذه المصادر في معرفة الأهداف المختلفة للسياسة الثقافية الفرنسية .

بالنسبة للمراجع نذكر تاريخ الجزائر الثقافي أجزاء مختلفة ، تاريخ الحركة الوطنية الجزء الثاني والثالث ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر وكلهم لأبي القاسم سعد الله ، وكتاب السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر (1837-1937) للدكتور فريد حاجي بالإضافة إلى كتاب التعليم القومي و الشخصية الوطنية لرابح تركي، سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات و آفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية، و كتاب في الهوية و الانتماء.

أما المراجع العامة الأخرى التي اعتمدنا عليها في تحرير بحثنا ن ذكر بالخصوص كتاب محمد الصديق للوقوف على تراجم بعض النخب الجزائرية، أما فيما يخص الحركة الإصلاحية فقد استخدمنا بعض المؤلفات التي تطرقت لحياة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس منها كتاب "من آرائه و مواقفه"، و كتابين لمحمد الميلي "ابن باديس"، و "عروبة الجزائر"، و أعمال المؤرخ عبد الكريم أبو صفصاف ، "معجم أعلام الجزائر"، و "رواد النهضة و التجديد في الجزائر (1889-1965)"، و بالفرنسية كتاب كاميل ريسلر المعنون ب :

"La politique culturelle de la France en Algérie, objectifs et limites-1830/1962"

و كتابي شارل روبير اجرون:

"Les Algériens musulmans et la France"."Histoire de L'Algérie contemporaine"

و كتاب فاني كولونا:

"Les instituteurs Algériens 1883-1919"

و شارل أندري جوليان:

"L'Afrique du Nord en marche"

و قد أفادتنا هـ ذه المراجع في الوقوف على السياسة التعليمية المنتهجة من طرف الاستعمار في إطار سياسته الثقافية و موقف الأهالي منها .

و بالنسبة للمصادر اعتمدنا على بعض الوثائق الأرشيفية التي تحصلنا عليها من الأرشيف الوطني لما وراء البحار باكس بروفانس بمرسيليا فرنسا.

و وظفنا مجموعة من المصادر الهامة، التي عالجت أحداث واكبت ظهور النخب الجزائرية، و بوادر ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر و نشاط روادها. نذكر منها "مذكرات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي" إلى جانب مجموعة "آثار عبد الحميد بن باديس" و أعمال المؤرخ عبد الرحمن الجيلالي: "تاريخ الجزائر العام" بأجزائه الأربعة، وكتاب "الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر 1947-1954" لعبد الرحمن بن العقون، و كذلك كتاب أحمد توفيق المني "جغرافية القطر الجزائري"، و أيضا كتاب "تاريخ الجزائر في القديم و الحديث" لمبارك الميلي ، و في سياق تحليل المنهجية الفرنسية الاستعمارية وظفنا ما كتبه محمد الشريف الساحلي في "تخليص التاريخ من الاستعمار"، و في نفس الاتجاه قمنا بالاستعانة بمجموعة من الكتب المصدرية للمفكر مالك بن نبي التي أفادتنا كثيرا في فهم مشكل الاستعمار و القابلية له و ما السبيل لتخليص الشعوب من هذا الكابوس ...

أما المصادر الفرنسية فنخص بالذكر:

"Albert Memmi, Portrait du colonisé précédé du portrait du colonisateur"

" Demomines Caudefray, L'œuvre française en nature d'enseignement"

"Louis Rin, Marabouts et khouans Etude sur L'Islam en Algérie"

و قد استفدنا من هذه المصادر في معرفة الأهداف المختلفة للسياسة الثقافية الاستعمارية، خاصة و أن أصحابها كانوا من العناصر الفاعلة في السياسة الاستعمارية باعتبارهم مسؤولين أو أساتذة أو منظرين للاستعمار.

صعوبات الدراسة :

أثناء انجاز هذا البحث صادفتنا بعض الصعوبات منها :

- قلة المصادر التي تتناول موضوع النخبة الجزائرية ، وهذا ما صعب علينا دراسة مختلف النواحي للموضوع و الإلمام ب كل جوانبه .

- هيمنة المدرسة الاستعمارية على الدراسات التي تناولت الجانب الثقافي للمجتمع الجزائري ، وهو ما يجعل الباحث في إشكالية التخلص من وجهة نظر تلك الدراسات بالإضافة إلى تنوع القضايا والأساليب التي اعتمدتها السياسة الفرنسية في الجانب الثقافي .

في الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا وحققنا ولو بعض الأهداف المرجوة من خلال معالجة هذا الموضوع وأن تكون هذه الدراسة بداية للتوسع في مثل هذه المواضيع .

المبحث الأول :

تكوين النخب الجزائرية و مرجعيتها الفكرية.

المطلب الأول: مفهوم النخبة .

1 - من الناحية اللغوية .

2 - من الناحية الاصطلاحية .

المطلب الثاني: مؤثرات تكوين النخبة .

1 - الثقافة و دورها في تكوين النخب .

2 - الدين الإسلامي و تأثيره في تكوين بعض النخب الجزائرية .

3 -الاستعمار و تأثيره في تكوين النخب .

المطلب الثالث: الاتجاهات الفكرية للنخبة و وسائل نضالها .

1 -اتجاهاتها الفكرية .

وسائل نضال النخبة الجزائرية

المطلب الأول: مفهوم النخبة :

1 - من الناحية اللغوية:

النخبة كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي نخب، و النخبة لغة و بضمّ النون، المختار و المصطفى، فيُقال أنخبه أيْ اختاره و اصطفاه، وهذا ينطبق من قول الله سبحانه و تعالى في سورة الحج: "والله يصطفي من الملائكة رسلا و من الناس" [1] ، أي أن الله سبحانه و تعالى اختار من الملائكة رسلا كجبريل عليه السّلام ومن الناس كالنبي محمد صلى الله عليه و سلم، و يُقال جاء في نُخَبِ أصحابه أي في خِيارهم[2] ، بينما عرّف ابن منظور النخبة في قاموس لسان العرب بأنها اشتقت من نخب و انتخب الشيء بمعنى اختاره و نخبة القوم هم خيارهم و اصطفى الشيء بمعنى اختاره و استخلصه [3] ، و قال الأصمعي: يقال هم نخبة القوم بضم النون و فتح الخاء، أما التعريف الذي أطلق على النخبة (Elite) في القاموس الفرنسي (هاشيت) فيعرفها على أنها جماعة الأخيار و العناصر المتميزة من مجموعة أكبر[4] ، مثل الصفوة و الأقلية و طبقة الأعيان، و هي مشتقة من الأصل اللاتيني (Ex-legree) الذي يدل على قطف و اختار و جمع، وهذا المعنى يشبه نفس المعنى المستعمل في اللغة الانجليزية و الألمانية، بخلاف اللغة الاسبانية الذي نجد هذه المفردة مشتقة من (Los mas selecto) [5] .

كما ظهر تعريف آخر شاع استعماله و المتمثل في الأنتلجنسيا، و يأتي هذا المفهوم امتداداً لكلمة مثقف التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر في فرنسا، و التي تعد بدورها امتداداً لما أطلق عليه في القرن الثامن عشر ب (فيلسوف)، و في بداية القرن التاسع عشر ب (مذهبي) أو (أديولوجي)، و قد استخدم مصطلح الأنتلجنسيا في أواخر القرن التاسع عشر، و هو اشتقاق من الأصل اللاتيني لكلمة (Intellogens) و التي دخلت القاموس الانجليزي ثم تطورت لتنشق عن مفهوم آخر ، و يعني أولئك الذين تثقفوا ثقافة علمية انعكست على تركيبهم الاجتماعي ، و الفئوي، أو النخبوي، و هم الذين يتمتعون بنشاط مبدع و مؤثر في هياكل الدولة و تشعباتها ، التي تشمل مجالات مختلفة، و من هذا

---

[1] - قرآن كريم، سورة الحج، الآية 75 .

[2] - الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ج1، طبعة جديدة، تق: محمود، خاطر، مكتبة لبنان، بيروت 1995، ص 271. ينظر أيضا إلى : ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، ط1، تق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية مصر1963، ص 196

[3] - عبد الله كبار، النخبة الجامعية و المجتمع المدني في الجزائر: قراءة سوسيولوجية في جدلية الواقع و الممارسة، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، العدد1، جوان 2013، ص 216. ينظر أيضا إلى : ابن منظور، لسان العرب، ج6، دار المعارف، القاهرة د ت، ص 2468.

[4] - Dictionnaire Hachette, Edition Hachette, Paris, 2005, p527.

[5] - عبد الله كبار، المرجع السابق، ص 216

يمكن القول أن النخبة هي الطبقة المميزة في المجتمع و صفوتهم ، سواء بثقافتهم ، مالهم ، أو جاهه ، و نسبهم ، و حتى المحترفين للسياسة [1] ، و بهذا فالنخبة هي الفئة أو الطبقة التي تتصدر المجتمع و تكون بمثابة الوسيط في عملية التكوين و التفكير، و بهذه الصفة التي تتميز بها تستطيع أن تتبنى مشروعا ثقافيا، سياسيا، أو اقتصاديا ... تنظر له و تدافع عنه بكل ما أوتيت من وسائل لإنجاحه، و تعد النخبة المثقفة العقل المفكر و الباحث عن حلول للمشكلات السياسية، و الاقتصادية، و الاجتماعية، و العلمية، التي يعاني منها أي مجتمع كان، و عليه كوّن النبي صلى الله عليه و سلم صفوة من الصحابة في بداية طريقه الدعوي، قبل أن يجهر بالدعوة إلى الإسلام في مكة، و استمر في ذلك حتى بعد تأسيسه للدولة الإسلامية، و بقيت تلك النخبة تسير مع النبي صلى الله عليه و سلم تتعلم منه و تتأسى بأفعاله، و كان ضمن تلك النخبة نخبة نسوية، على رأسهن السيدة عائشة رضي الله عنها، تجلت أدوارها خاصة بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم.

أما النخبة الجزائرية فقد عرفها "جورج مارسي George marcais"، الذي شغل مدير المدرسة الفرنسية الجزائرية الإسلامية بتلمسان بأنها: "ليست تلك الأقلية من الموظفين و المحامين و الصحافيين و المعلمين ، بل كذلك الجزائريين الذين جمعوا بين الثقافة الفرنسية و الثقافة الإسلامية، و الذين يعرفون في نفس الوقت عن مؤلفي العصر الإسلامي الذهبي و كتاب التراث الفرنسي"، أما الصحفي الفرنسي "سيرفييه Servier" الذي عاش في الجزائر فشبه جماعة النخبة الجزائرية، بجماعة تركيا الفتاة و كذا بجماعة مصر الفتاة في الطموح و الآمال و تولي الزعامة، فقد وصفهم بأنهم فخورين يحملون معهم أفكار سيئة مضادة لمصلحة فرنسا [2] ومن خلال هذا الدور الذي لعبته النخب نجد بعض المثقفين في الجزائر سارعوا للدفاع عن قضايا مختلفة، كوقوف مجموعة منهم عشية الاحتلال ضد نهب أراضي الجزائريين، مستعملين مختلف السبل سواء عسكرية بالترويج و التحريض للمقاومة بالفتاوى، أو السلمية معتمدين على نشر العرائض و المراسلات و تأليف الكتب و كان من هؤلاء المثقفين حمدان خوجة صاحب كتاب "المرآة"، و الذي انتهى به المطاف في المنفى نظير أفكاره، و يمكن ذكر سي محمد بن رحال، و علي الحمامي صاحب رواية "إدريس" و انتهاء بعبد الحميد بن باديس، و فرحات عباس، و البشير الابراهيمي، و بن يقضان، و غيرهم من مفجري الثورة التحريرية أمثال العربي بن مهيدي، ديدوش مراد، ... و غيرهم كثيرون.

[1]- برهان غليون، في النخبة و الشعب، حوار: لؤي حسين، ط1،دار بتر للنشر و التوزيع، سوريا2010، ص 12

[2]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)...، المرجع السابق، ص ص 159-160

2 - من الناحية الاصطلاحية:

يقصد بها الفئة القليلة في المجتمع التي حظيت بمركز سياسي، أو اجتماعي مرموق، كما نجد هذا التعبير ينطبق على مجموعة تفوقت أو أبرزت في مجال معين، حيث أطلق على هذه الشريحة العليا التي تتمتع بأكبر قدر من التمثيلات الرمزية و الكفاءات التنظيمية مشكِّلة جماعة النخبة، و تجمع هذه الفئة أهم الكفاءات في مجال تخصصها [1] ، و ينطبق هذا التعريف مع التعريف الذي جاء به الشريف بن حبيلس: "إذ يرى أن النخبة هي تلك الفئة من الشباب الطلاب المتكونين في الجامعات الفرنسية، و الذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير، و أن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين" [2] ، و يسوق لنا الشريف بن حبيلس تعريفا آخر لجماعته التي ينتمي إليها في كتابه الذي نشره سنة 1914م بالعبارة التالية: "بأنها ثريات الشبان الجزائريين المتخرجين من الجامعات الفرنسية، الذين تميزوا عن بقية العامة من المجتمع الجزائري و استحقوا أن يصنفوا ضمن زمرة الفئات الأوروبية بالجزائر، و ذلك بفضل ممارستهم لمهامهم الحرة، كأطباء و صيادلة و جراحي أسنان و محامين، أو في الإدارة و المؤسسات الاستعمارية، كأطر قانونية، و معلمين أو أساتذة" [3] ، و قد تكون النخبة حاكمة ذات سلطة و نفوذ أو محكومة مسيرة و موجهة ذات كفاءات تضمن لها مكانة مميزة في النظام الاجتماعي، فحسب تعريف "سيموني" فإن هذه الفئة تمثل المجتمع [4] ، ويرى "توماس بوتومور" أن كلمة النخبة قد استخدمت في قاموس اكسفورد (Oxford) باللغة الانجليزية سنة 1823، و كان توظيف هذا المفهوم "النخبة" (Elite) في القرن التاسع عشر لوصف السلع ذات النوعية الممتازة، ليتوسع هذا المفهوم بعد ذلك للدلالة على الجماعات الاجتماعية المميزة كبعض الوحدات العسكرية المتفوقة أو المراتب العالية من النبالة [5]، بفضل امتلاكها السلطة أو الثروة أو مهارات عقلية مثل النخبة الحاكمة و النخبة المثقفة [6] ، و قد امتد هذا المفهوم إلى دول عظمى كبريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1930، خاصة بعد انتشار نظريات النخبة، و منها بالأخص نظرية فلفريدو باريتو

[1] - عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج6، ط2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1995، ص ص، 560- 561

[2] - Cherif BENHABILLES, L'Algérie française, Vu par un indigène, édition, imprimerie orientale, fantana frères, Alger 1914, pp 105.

[3] - خالد بوهند، الأصول الاجتماعية و الخلفيات السياسية و الثقافية للنخبة الجزائرية الفرنكفونية، مجلة المقتطف المصري التاريخية، السنة الأولى، العدد 1، جوان 2014، ص 141

[4] - نوارة حسين، المثقفون الجزائريون بين الأسطورة و التحول العسير بين سنوات الجمر إلى سنوات النهب من بداية القرن 20 إلى غاية الاستقلال، تر: سعيدي فتحي، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، موفم للنشر، الجزائر 2013، ص ص 52- 82

[5] - عبد الله كبار، المرجع السابق، ص 216. ينظر أيضا إلى: بوتومور توماس، الصفوة و المجتمع، دراسة في علم الاجتماع السياسي، تر: محمد الجوهري و آخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1988، ص 25

[6] - جميل حمداوي، سوسيولوجيا النخب (النخبة المغربية أنموذجا)، ط1، شبكة الألوكة، المغرب 2015، ص12

(V. Pareto)[1]، الذي يرى أن مصطلح النخبة قد شاع تداوله في القرن العشرين خاصة ليغطي نشرات الصحف و الجرائد "فإن الصحافة الفرنسية بجميع أشكالها و ألوانها هي التي أطلقت اسم "النخبة" على جماعة من الناس، تمييزا لهم عن بقية أفراد المجتمع، و ذلك تشجيعا لهم لمواصلة السير في طريق الإدماج و المطالبة بالجنسية الفرنسية، لأنهم الوحيدون القادرون على التأثير على زملائهم و إخوانهم كونهم يملكون قوة فكرية و ثقافية تجعلهم في الصف الأول في المجتمع بل و في طليعته، و بهذا يصبحون بحق الوسطاء النشطين و الفعليين بين المجموعتين من المتباعدين ثقافيا و دينيا"[2] ، أما جير روشيه (G. Rocher) فمن جهته حدد مفهوم النخبة اعتمادا على التحليلات العديدة لعلماء اهتموا بتحديد مفهومها على النحو التالي: "الصفوة تضم أشخاصا و جماعات، و الذين يمتلكون قوة و نفوذا يسيطرون بها و يؤثرون على اتخاذ القرارات أو الأفكار، و الإحساسات و المشاعر التي يبدونها أو التي يتخذونها شعارا لهم"[3] ، و من هذا المنطلق أشار معجم العلوم الاجتماعية إلى أن هذه الفئة (الصفوة) أو ما أطلق عليها أحيانا عليه القوم أو الأعيان، بأنها فئة قليلة تملك النفوذ مما يؤهلها إلى التحكم في جماعة أكبر حجما، و قد تكتسب جماعة في مجتمعات معينة صفة الصفوة عن طريق الوراثة، حيث أن الأفراد المنحدرين من أسلاف تنتسب إلى بعض الطوائف أو أصحاب بعض الامتيازات، يتمتعون بنفس المركز (الصفوة) بمقتضى حق الميلاد، بخلاف بعض المجتمعات التي تسودها المنافسة فيمكن لأشخاص عاديين أن يتمكنوا من الارتقاء إلى مراكز ينظر إليها باعتبارها مرتفعة، و يتمكن هؤلاء الأشخاص إلى الانضمام للصفوة التي يعترف بها المجتمع أو جانب منه [4] .

أما في الجزائر المستعمرة و بالخصوص في الإدارة و المجتمع الأوروبي، تم إطلاق هذا المصطلح على تلك الفئة القليلة المسلمة الخاصة التي حظيت بتكوين ثقافي، مكنها من الحصول على شهادة أهلتها للقيام بمهنة حرة أو شغل وظيفة عمومية ذات خصوصية و صبغة هامة، تسمح لها بالانضمام إلى هذه الفئة التي أطلق عليها النخبة [5] ، و التي عملت السلطات الفرنسية من تقريبها لها خدمة لمصلحتها

[1] - جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 16

[2] - إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص ص 83-84

[3] - نعمان عباسي، الحكم الراشد و أولوية ترتيب المشهد النخبوي الجزائري، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد10، سبتمبر 2010، ص 116.

[4] - أمينة علاق، نخبة أم النخب: قراءة في المفهوم، الأدوار أو الاشكاليات، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية، العدد 28، مارس 2017، ص 172.

[5] - Mahfoud KADDACHE, op, cit, p 207

و معالجة النقص الذي كانت تعاني منه الإدارة الفرنسية من إطارات[1]، و من جهة اخرى التفريق بينهما و بين الجزائريين العاديين الذين كانت تنعتهم بالأهالي، أما عبد القادر جغلول فله نظرة مغايرة حول الانتليجنسيا في الجزائر، إذ أشار في كتاب "انتاجنسيا أم مثقفون في الجزائر" لصاحبه "عمار بلحسن" أنه لا وجود لفئة اجتماعية منظمة من النخبة (الانتليجنسيا) رغم تعدد الخطابات في الجزائر، ففي الأصل لا يوجد الخطاب الذي يستطيع أن يكوّن و يضع بناءا فكريا و ثقافيا منسجما لحال وضعية المجتمع الجزائري إبان الفترة الاستعمارية، فهذه المرحلة لم تستطع توحيد النخبة حول مشروع فكري بل حتى مشروع الحركة الوطنية، فقد اقتصر عملهم على التطبيق و التنفيذ فهم مغلقون في الفراغ، و يمكن إرجاع سبب الفراغ حسب جغلول إلى غياب مؤسسات ثقافية كجامع القرويين و الزيتونة، أي عدم وجود مركز جامعي كبير يستوعب و يسهل عمل تكوين الانتليجنسيا، فالفراغ موجود على مستوى التجذر الظاهري، أي علاقة إدراك و وعي النخبة مع ماضيها [2]، و من هذا يمكن القول أن النخبة الجزائرية هي الفئة المثقفة التي تميزت عن البقية بالرصيد الثقافي الذي تمتلكه سواء بالعربية أو الفرنسية و الذي جعل منها طبقة مميزة بدأت في التطور مع بداية القرن العشرين، حيث كان ظهورها بطيئا و قليل العدد لا يتعدى خمسة و أربعون مثقفا سنة 1907م [3] ، ومن هذا المنطلق نقف على حقيقة أن النخبة الجزائرية لا تتمثل فقط المثقفين ثقافة فرنسية كما ذهب إليه أحد المفرنسين سنة 1911م قائلا "أنها ثريات الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية و الذين كانوا قادرين بأعمالهم, أن يصعدوا فوق الجماهير و أن يضعوا أنفسهم في مصّاف ناشري الحضارة الحقيقيين"[4] ، و هذا التعريف يتوافق في مدلوله مع التعريف الذي أشرنا إليه سابقا و المتعلق بتعريف الشريف بن حبيلس و ربما يكون هو نفسه، و يشمل هذا التعريف أيضا المثقفين ثقافة عربية و هذا بشهادة المستعرب الفرنسي "جورج مارسي" الذي أشرنا إليه سابقا حين تطرقنا إلى تعريف النخبة لغة، و إذا حاولنا إعطاء تعريف عام مختصر لمصطلح نخبة أو نخب (بصيغة الجمع)، حسبما جاء به خالد بوهند فنقول: " المنتخبون من الناس أو المختار من كل شيء"، كما يعني مجموعة صغيرة من الناس، تعتبر الأفضل و الأبرز لما

---

[1] - Hubert, DESVAGES, LA Scolarisation des muslumans en Algérie (1882-1962) dans l'enseignement primaire public français, Etude statistique, cahier de la méditerranée, n4,1, juin 1972, p 55,

[2] - عمار بلحسن، انتليجنسيا أم مثقفون في الجزائر، دار الحداثة للطباعة و النشر، بيروت 1986، ص ص57- 60. ينظر أيضا إلى بكاكرية جودي، المثقفون و إشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائر (دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني و مصطفى الأشرف)، رسالة ماجيستير في علم الاجتماع الثقافي و التربوي، جامعة الجزائر 2008- 2009، ص 47.

[3] - أبو القاسم سعد الله، الحركة لوطنية ... ، المرجع السابق، ص 168.

[4] - إبراهيم مياسي، إرهاصات الحركة الوطنية، مجلة المصادر، العدد 6، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954، مارس 2002، الجزائر، ص 131

يوجد[1] ، من حولها من أفراد و ذلك بتميزها بمواصفات تجعل منها المؤثرة و البارزة في البيئة التي تعيش فيها هذه الجماعة البشرية سواء عن طريق الارتقاء أو بحكم الوراثة و طبيعة المجتمع الذي تنتمي إليه، و عليه فإن النخبة أو الصفوة عرفت تعريفات و اختلافات عديدة نتيجة للتطور الزمني و الاجتماعي من جهة و من جهة أخرى للاختلافات الفكرية التي تبنتها العيد من المدارس التكوينية، و لهذا فإن تعريف النخبة أو الصفوة لغويا و اصطلاحيا يبقى إجرائيا و على أي باحث يمكن أن يحدده وفق المعطيات التي تميز أي مجتمع و الطريقة التي تناسب لتوظيف هذا التعريف دون إغفال مكونات عامل الهوية الذي يعتبر عنصرا فعالا في التوظيف .

المطلب الثاني: مؤثرات تكوين النخبة:

قامت النخب بدور بارز في تأطير المجتمعات و قيادتها في جميع بلدان العالم، و لطالما كانت النخب عبر العديد من المجتمعات قاطرة الرأي العام و المؤثرة فيه، فطبقة المثقفين هي التي تشكل اتجاهات الرأي العام و توجهات المجتمع، إذ من المتعارف عليه أن من بين الشروط الضرورية لإقامة دولة مستقرة، هو التوافق بين الدولة و عناصر النخب باختلاف تكوينها في هذه الأخيرة، فبقدر التجانس بين علاقة الطرفين بقدر ما يكون هناك استقرار اجتماعي و رخاء اقتصادي و أمني، و إن كان العكس فلا شك أن ذلك سينعكس سلبا على أي مجتمع.

1 - الثقافة و دورها في تكوين النخب:

إن هذا الدور الذي لعبته النخب كان نتيجة ذلك التكوين و الرصيد الثقافي الذي تتمتع به [2]، وفق الظروف التي سمحت لها بتحصيل المعارف في شتى الميادين، فنجد أن الجذور الثقافية العميقة للمجتمع الجزائري، تشكلت بذورها في الأساس قبل الفترة العثمانية، و ذلك منذ الفتح الإسلامي إلى بلاد المغرب، حيث نجد اهتمام المغاربة بالدين الإسلامي منذ أن وطأت أقدام الفاتحين الأوائل بلادهم، حيث وجد فيه الأمازيغ متنفسا مما عانوه من الوندال و الرومان [3] ، من بطش و استبداد و فرض حضارتهم على هذه الشعوب، و بذلك يكون المجتمع الجزائري هو الذي حمل لواء نشر التعليم متأثرا بعوامل خارجية، و كان في مقدمة هذه العوامل هجرة الأندلسيين الذين كانوا يختلفون من حيث المستوى الفكري و المادي عن سكان المغرب، فقد انتشرت معالم الحضارة الأندلسية خاصة في

[1] - خالد بوهند، المرجع السابق، ص 139

[2] - غي بريفيلي ، المرجع السابق، ص

[3] - صافية كساس، الرحلات العلمية من و إلى المغرب العربي و دورها في تنشيط الحركة العلمية و التعليمية بالمغرب العربي، مجلة الممارسات اللغوية، العدد08، 2011، ص 178.

ميدان التعليم من قواعد اللغة و الأدب و العلوم و الموسيقى، فتطورت بفضل الأندلسيين طرق التدريس بإدخالهم عليم الحديث و القواعد العامة للأطفال لتدعم عملية حفظ القرآن الكريم، زيادة على ذلك اهتموا بالخط الأندلسي الذي نافس الخط العربي، بتعيين كبار العلماء في المدارس [1] ، ثم استمرت هذه الحركة العلمية في النهوض خلال و بعد الوجود العثماني في الجزائر، أي مرحلة الاحتلال الفرنسي التي شهدت بروز العديد من النخب التي لعبت أدوارا عديدة في مقاومة سياسة المستعمر و ممارساته، و لاسيما أن الإدارة الاستعمارية كانت تمثل بالنسبة إلى فئات واسعة من الشعب الجزائري رمزا للعنف و الغطرسة، الأمر الذي دفعها إلى المقاومة [2]، و تغيير هذا الواقع المرير بولقع آخر يحقق لهذا الشعب الأمن و الاستقرار و الحرية التي تنشدها كل الشعوب المستعمرة و المضطهدة.

إن الوعي الذي ترسخ لدى النخب بمختلف توجهاتها و إدراكها لحقيقة الوقوف ضد ممارسات الاستعمار[3] ، و كذا ضد المستشرقين[4] ، الذين قاموا بإنجاز بعض الدراسات لغرض التنقيص من قيمة الإسلام[5] ، و التي لعبت هذه الدراسات دورا بارزا في تنشيط الاستعمار الاستيطاني في الجزائر و تونس و المغرب الأقصى و إفريقيا بل و في الوطن العربي [6] ، منذ أواخر السبعينيات عند إنشاء مدرسة الآداب العليا 1879م و هي التي أصبحت كلية الآداب 1909م ويرجع إلى الدور البارز الذي لعبته المؤسسات الثقافية و التربوية في ربوع الجزائر كالمساجد و المدارس و الكتاتيب و الزوايا في تكوين هذه النخب، و التي أخذت على عاتقها مهمة التعليم من أجل إنجاح التلاميذ و الطلاب و تخريج المدرسين و الأئمة و القضاة، فكانت عملية التدريس تمول من طرف المبادرات الفردية و العائلية، و المؤسسات الإسلامية الخيرية، و كانت الأوقاف و الحبوس مصدر تمويله الأول [7] ، حيث اقتصر التعليم الابتدائي على تحفيظ تحفيظ القرآن و قليل من الفقه، و منها يتضح لنا أن المجتمع الجزائري استمد منبع فكره و نمط حياته من القرآن و الحديث النبوي الشريف [8] ، إذ يمثل هذا الدين البنية القوية للمجتمع ، و في هذا

[1] - أ حميدة عميراني، دور حمدان ...، المرجع السابق، ص67

[2] - مراد بن سعد، صالح زياني، النخب و السلطة و الأيديولوجيا في الجزائر: بين يناء الدولة و التغير السياسي، مجلة المستقبل العربي، العدد 430، ديسمبر 2014، ص 76.

[3] - مراد بن سعد، صالح زياني، المرجع السابق، ص76

[4] - الاستشراف هو دراسة للحضارة الإسلامية من باحثين ينتمون إلى حضارة أخرى، و لهم بناء شعوري مخالف لبناء الحضارة التي يدرسونها. ينظر إلى: حسن حنفي حسنين، قضايا معاصرة في الفكر العربي المعاصر، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة 1997، ص7.

[5] - فريد حاجي، المرجع السابق، ص 150.

[6] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ...، ج 6، ط1، المرجع السابق، ص7.

[7] - فاتح باي، دور الجامعة الجزائرية في إنتاج النخبة المثقفة، رسالة ماجيستير في علم اجتماع التربية، جامعة سطيف، 2014-2015، ص154.

[8] - إبراهيم مهديد، النخبة التلمسانية و دورها الثقافي و السياسي و الاجتماعي من نهاية القرن التاسع عشر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، مجلة أفكار و آفاق، العدد3، الجزائر 2012، ص 191

الصدد أشار أحد الكتاب الاستعماريين إلى الحضور القوي للدين في بنية المجتمع، و في سياق توضيحه للوضع المعقد في الجزائر خلال ثلاثينيات القرن الماضي قائلا: "... لقد اصطدمنا بشيء مبهر، إنه الإسلام، و كان أول صدمة لنا، و أنا لا أتحدث عن إسلام سنعرفه من بعد، إسلام مضطرب ومتذبذب و غير واثق في نفسه، بل أنا أتحدث عن إسلام راسخ في القلوب و محمول في كبرياء كامل... "[1]. كما قال أحد الحكام الفرنسيين بمناسبة الاحتفالية المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر: "إننا لا ننتصر على الجزائريين ماداموا يقرؤون القرآن و يتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، و أن تقتلع العربية من ألسنتهم" [2]، هذا الدين الحقيقي الذي اهتمت به العديد من المدارس و عملت على تدريسه، و من أبرز هذه المدارس (الكتاتيب)، نجد 86 مدرسة بقسنطينة، و 80 بالعاصمة، و 50 بتلمسان، عشية الاحتلال.

أما مرحلة الثانوية و العليا فكان التعليم يتم في الزوايا، و المساجد، و من برامج هذا التعليم نجد:

- ❖ تعليم الفقه.
- ❖ التوحيد.
- ❖ علوم اللغة.
- ❖ الحساب و الفلك.

و كان هذا التعليم متداولا في الجوامع و الزوايا المشهورة بالعاصمة، و قسنطينة، و تلمسان، و مازونة، و بلاد القبائل و إقليم ميزاب على وجه الخصوص[3]، حيث كان مستوى التعليم المقدم يضاهي التعليم الذي يدرس في الجامع الاموي، و الحرمين الشريفين، و ذلك لتنوع الدراسات فيها و تردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، رغم افتقار الجزائر خلال هذه الحقبة الزمنية لجامعات إسلامية بحجم الأزهر و الزيتونة و القرويين[4]، إلا أن القائمين على شؤون التعليم من شيوخ و أئمة سخروا جهودهم و أعمالهم للتدريس، أو التأليف، أو إلقاء الدروس، في المساجد و النوادي للقضاء على الخرافات و البدع و العقائد الفاسدة. و ذلك لإيمانهم القوي بأن أكبر عدو سهل عملية

[1] - GAUTIER Emile-Félix, UN Siècle de Colonisation: étude au microscope, librairie Félix, Alcan, MCMXXX, paris 1930, p 47.
ينظر أيضا إلى: فريد حاجي، المرجع السابق، ص 139.

[2] - أحمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 7. ينظر إلى: فريد حاجي، المجع السابق، ص 139.

[3] - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص19، ينظر أيضا إلى : بلال بشير، المرجع السابق، ص 32.

[4] - إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص 187.

الاحتلال و التوغل في مناطق مختلفة في البلاد هو الجهل و التخلف[1] ، و كذا لمجابهة الحركة الثقافية و التعليمية الاستعمارية التي سعت جاهدة لفرض رؤية مغايرة و تفكير مخالف يقوم على استبدال اللغة الأصلية العربية[2] ، باللغة الفرنسية و القضاء على التعليم الديني منذ الوهلة الأولى للاحتلال باعتباره يشكل خطرا على وجودها[3] ، و في هذا الصدد يصف لنا شاهد عيان المستوى المتدني و الهجين اللغوي الذي أصاب سكان العاصمة سنة 1927 و دعمه بقوله: "لم يكن الجزائري يشعر في العاصمة عند الوصول إليها أنه في منزله و عقر بيته، إذ كان القوم بالأحياء الشعبية يتكلمون فيها لغة هجينة من مفردات عربية و إسبانية و فرنسية، أما في الأحيان الأخرى فيتكلمون اللغة الفرنسية"[4] . و هذا المستوى الذي آلت إليه اللغة العربية كان يصب في مصلحة فرنسا، و ذلك من أجل تسهيل المسعى الاستعماري الذي يهدف إلى فرنسة الجزائر و استئصال مجتمعنا من مقوماته الأساسية و ذلك بعد إطلاع الشباب الجزائري على حضارة المستعمر ليصبح هؤلاء الشباب عناصر مفيدة وسطاء بين إخوانهم في الدين الفرنسي، خاصة أننا نجد ان التعليم الفرنسي كان منتشرا في منطقة القبائل مقارنة مع باقي مناطق الجزائر الأخرى و ذلك لغرض اصطفاء نخبة متفرنسة [5] ، و السعي لتسهيل عملية الإدماج و جعل الجزائر إقليما فرنسيا يتشكل من مقاطعات كما هو حال المقاطعات الإدارية الأخرى في فرنسا[6] .

2 - الدين الإسلامي و تأثيره في تكوين بعض النخب الجزائرية :

إن الظروف التي كانت تحيط بالجزائر إبان الفترة الاستعمارية، جعلتها حقلا خصبا لأكثر من طرف بل لأكثر من تيار فكري أوروبي: برجوازي-ليبرالي، وسان سيموني، و ماسوني، و لاديني، و رغم الاتفاق المطلق بين هذه الأفراد على ضرورة تثبيت الاستعمار الاستيطاني في هذه الرقعة الجغرافية، إلا أن أهدافها كانت مختلفة فيما بينها باختلاف مشاريعها [7] ، حتمت على القائمين على زمام التعليم أن يسعوا جاهدين لتحصين المجتمع الجزائري و حمايته من هذا التيار الجارف و المتمثل في الاستعمار

[1] - كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس و التطور (1850-1951)، رسالة ماجيستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث و المعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة 2007-2008، ص 143

[2] - كتبت جريدة البصائر مقالا تتحصر فيه على الوضعية المتدنية التي آلت إليها اللغة العربية في الأوساط الشعبية، مقابل رواج كبير للهجة العامية المتضمنة الكلمات الفرنسية. ينظر إلى: أبو العباس أحمد بن الهاشمي، بعد غربة اللغة العربية، جريدة البصائر العدد8، فبراير 1937، ص ص 01-02 .

[3] - Kamel KATEB, Les séparation scolaires dans l'Algèrie coloniale, Revu Insaniyat n 25-26 année 2004, p66.

[4] -مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن...، المصدر السابق، ص 81، ينظر أيضا إلى: أحمد مريوش، الطيب العقبي و دوره ...، المرجع السابق، ص 111.

[5] - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ط2، دار الشاطبية للنشر و التوزيع،الجزائر 2012، ص138.

[6] - رابح تركي، التعليم القومي...، المرجع السابق، ص 111.

[7] - أحميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 63.

الفرنسي الذي يأخذ كل ما يصادفه في طريقه، و تحصين هذا الشعب من خلال تعليمه التعليم الصحيح الذي يجعله متمسكا بهويته و وطنه، و يدافع عنهما بكل ما أوتي من قوة ، و لا يكون التعليم صحيحا إلا إذا كان منحدرا من القرآن الكريم و السنة النبوية، من خلال الاعتماد على الإسلام في مقاومة هذه الثقافة الفرنسية، بل تعداه إلى المقاومة السياسية و العسكرية و الذي كان بمثابة المحرك الذي يثير الشعب ضد المستعمر الدخيل [1] .

كما أن الإسلام كان بمثابة عامل تعبئة النسبة للجزائريين [2] ، و من هذا المنطلق نجد أن جمعية العلماء المسلمين [3] ، و التي مثلت النخب الإصلاحية ركزت على هذا النهج في تكوين جيل قادر على أن يواجه المستعمر و يقوم بتغيير يستهدف الحياة السياسية، و الدينية، و العقلية، و الاجتماعية [4] ، من خلال تفضيل المصلحة العامة على الخاصة، في سبيل نهضة مجتمعية واعية لمستقبل الجزائر العربية الإسلامية، جزائر تختلف عن فرنسا في لغتها و في أخلاقها و في عناصرها و في دينها، "لا تريد أن تدمج و لا تريد أن تكون أو تصير فرنسا". و قد عبرت عن هذا المسعى الشعارات التي حملتها صحافة هذا التوجه لسان حالهم، فجريدة المنتقد [5] ، التي أسسها عبد الحميد بن باديس كان شعارها"الحق فوق كل أحد و الوطن قبل كل شيء" . هذه الجريدة التي تعتبر بمثابة اللبنة الأولى في صرح الإصلاح الديني و السياسي و الخطوة الأولى في طريق النهضة الاجتماعية و التعليمية بعد أن وقع التفكير فيها و اختمرتا في ذهن الشيخين ابن باديس و الإبراهيمي خلال لقائهما بالحجاز سنة 1931، و بعد تحضير زاد عن العشر سنوات شمل الإعداد لتوعية الشعب عن طريق التهذيب و التدريس بالمساجد [6] ، بخلاف نجم شمال إفريقيا الذي كان على رأسه مصالي الحاج [7] ، الذي كان فكره السياسي يسعى إلى الاستقلال الاستقلال التام عن فرنسا ثم بعد ذلك يتفرغ إلى تكوين المجتمع، هذا المنطلق الفكري الذي اعتبره مصالي الحاج كمرجعية لنضاله راجع إلى تأثره بأفكار الثورة الفرنسية التي نادت بالمساواة و الحرية و

[1] - رابح لونيسي،المرجع السابق، ص 241.

[2] - Mahfoud KADDACHE, Histoire du nationalisme algérien, question natinale et politique algzrienne, 1919-1951, tome2, société nationale d'édition et de diffusion, Alger 1980, p 671

[3] - انظر الملحق رقم 1.

[4] - رابح دبي، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر و دور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها (1830-1962): دراسة نظرية تحليلية، رسالة دكتوراه في علوم التربية، جامعة الجزائر2، 2010-2011، ص 183

[5] - أنظر الملحق رقم 2.

[6] - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 190.

[7] - حول تفاصيل عن حياة مصالي الحاج و نضاله السياسي ينظر إلى:

Benjamin STORA, Messali Hadj et crèation de l'étoile nord-africaine en 1926, Histoire de l'Algerie a la période coloniale, éditions la découverte, paris2014, pp393-394.

الإخاء ، إذ نجده أول من تلفظ بكلمة الاستقلال في مؤتمر بروكسيل سنة 1927م ، و قد ساعد احتكاك مصالي بعناصر الحزب الشيوعي الفرنسي كحاج علي عبد القادر و غيرهم بكسب خبرة سياسة وظفها في الدفاع عن حقوق الجزائريين و خاصة الطبقة الشغيلة بالمهجر [1]، علما أن الشعارات الرنانة التي كان يرفعها الشيوعيون كانت تدعوا إلى استقلال المستعمرات و تحرير شعوبها، و الدفاع عن العمال ضد الإمبريالية و استغلال الرأسمالية [2] ، التي ضربت بثقلها في جل دول المستعمرات في جميع مناحي حياتهم، سواء تعلق الأمر بالجوانب الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية لفرض رؤية تخدم مصلحة هذه الدول الاستعمارية.

3 - الاستعمار و تأثيره في تكوين النخب:

إن النخب التي تبنت المنطلق الإسلامي كأساس لتكوينها لم تكن وحدها في الجزائر، بل كانت هناك فئة نخبوية أخرى، تأثرت بالفكر الإدماجي كركيزة لمنطلقها التكويني وفق القاعدة الأساسية التي لعب عليها الاستعمار، و التي تعمل على خلق طبقة تؤمن بإمكانية الاستفادة من الحقوق و الواجبات التي يتمتع بها الفرد الفرنسي، فساهم الاستعمار في إيجاد هذه الطبقة التي تبنت هذا الطرح المغاير الذي ينظِر للفكر الاندماجي، و الذي يختلف عن أطروحات الجمعية و التيار المصالي ، إذ كانت ترى هذه الطبقة أن الحل يجب ان يكون في ارتباط الجزائر فيدراليا بفرنسا [3] ، و التمتع بالحقوق و الواجبات التي يتمتع بها نظرائهم الأوروبيين في شتى المجالات و تطبق عليهم أحكام فرنسا الديمقراطية لا فرنسا الاستعمارية.

لقد ساعدت عوامل عدة على انتشار هذه الأطروحات في الجزائر، حيث نجد ان الحملات التبشيرية سعت جاهدة للوقوف في وجه الدين الإسلامي و الترويج للفكر الغربي، هذه البعثات التي استغلت الصحف الكبرى التي يسيطر عليها النفوذ الاستعماري، و التي كان لها أثر كبير في خلق مفاهيم جديدة للفكر العربي منفصلة أو متعارضة مع القيم الأساسية الإسلامية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد النفوذ الأجنبي الذي بسط سيطرته على البرامج التعليمية من خلال فصلها عن أرضيتها العربية الإسلامية التي تعتبر كأرضية أساسية لبناء نخب مثقفة تدافع عن بلدها و هويتها العربية الإسلامية، و التمكين للغة الفرنسية و جعلها مصدر التفوق في مجال العمل في المعارف و الدوائر

[1]- Jacques SIMON, Messali Hadj (1898-1974), la passion de l'Algérie libre, éditions firésias, paris 1998, p 62.

[2]- عبد الحميد زوزو، المرجع السابق،ص 494.

[3]- أحميدة عميراوي، المرجع السابق، ض 141.

المختلفة[1] ، باعتبار أن الوضع الثقافي لأمة ما يعكس الوضع السياسي و تركيبته الاجتماعية، زيادة على بنائه الاقتصادي[2] ، و بما أن هذه الأوضاع كانت متردية في الجزائر، نتيجة السياسة الاستعمارية، التي عملت منذ الوهلة الأولى (الاحتلال) على جعل التعليم فرنسا خالصا، و أن اللغة الفرنسية هي التي يجب أن تسود في الأوساط الشعبية و اعتبارها لغة الوطن، و قد أشرنا إلى هذا فيما سبق حول الوضع الثقافي الذي عرفته الجزائر قبل الحربين، و على خذا الأساس وجب التفكير في النهوض بالجانب الثقافي بالتركيز على تعليم يتنافى و المبادئ التي جاء بها المحتل، و العمل على تطويره من أجل تحسين ظروف هذا المجتمع في شتى المجالات (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية،...) .

و في هذا الصدد يركز العديد من المؤرخين على الجانب الثقافي و الفكري لنهضة الأمم و التخلص من الاستعمار و العبودية، و على رأس هؤلاء المؤرخين أبو القاسم سعد الله الذي يرى أن الثقافة و الفكر يعتبران بالنسبة إليه عاملين أساسيين في تغيير ذهنية المجتمعات و تحريكها للأحداث مقارنة بالعامل الاقتصادي، فهو يسوق لنا مقارنة تتمحور حول النضال في الجزائر بين القرنين التاسع عشر و العشرين، فيرجح أن نجاح الثورة الجزائرية كان مرده إلى بعث حضاري و وعي فكري سبقها، فيقول بصريح العبارة: "إن انتفاضات الجزائريين خلال القرن الماضي، أي التاسع عشر كانت تقوم على البندقية وحدها، فلم تفلح، أما نوفمبر فقد سبقه بعث حضاري و وعي فكري، و من ثمة نجحت البندقية"[3] .

إن البعث الحضاري و التكوين الفكري الذي أنجب لنا هذه النخب باختلاف أيديولوجياتها يمكن إرجاعه إلى الوعاء الذي أطلق الإرهاصات الفكرية الأولى عبر مراحل تطور الجزائر السياسي، فمن المعلوم أن الجزائر واحدة من دول منطقة المغرب العربي التي تعاقبت عليها حضارات مختلفة .

كما خضعت إلى الفتح الإسلامي عام 647م ، ثم الاستنجاد بالعثمانيين [4] من الخطر الصليبي بعد عام 1516م ، لتجد نفسها بعد ذلك مستعمرة فرنسية كبقية دول المغرب منذ 1830م [1] ، بعد

---

[1]- أنور الجندي، العالم الإسلامي و الاستعمار السياسي و الاجتماعي و الثقافي، ط2، مدرسة المكتبة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان1983، ص28.

[2]- رابح تركي، التعليم القومي...، المرجع السابق، ص91.

[3] - رابح لونيسي، دراسات حول إيديولوجية...، المرجع السابق، ص208.

[4]- نشد مفدي زكرياء في إلياذته "إلياذة الجزائر" شاكرا الدور الذي لعبته الخلافة العثمانية من خلال خيرالدين و بابا عروج في صد الخطر الصليبي عن الجزائر و الصداقة التي كانت تجمع البلدين قائلا:

و آزرنا الترك حتى انتصرنا و لم يخفر الترك ماضي العهود

و قمنا نسوس البلاد بعدل و نسدي الجيل و نرعى الحدود

مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1987، ص 52.

توقيعها لمعاهدة الاستسلام في الخامس جويلية من نفس السنة على الساعة الرابعة صباحا بين الداي حسين عن الجانب الجزائري و قائد الحملة الجنرال دي برومون ممثلا لشارل العاشر عن الجانب الفرنسي [2].

إن الأحداث التاريخية التي مرت بها الجزائر كان لها بالغ الأثر في رسم الإطار و الأساس الفكري [3] ، الذي تبنتها المدارس التي وجدت بالجزائر أو خارجها باختلاف منطلقاتها الفكرية بعد فترة الحرب العالمية الثانية، سواء كانت مدارس تابعة لجمعية العلماء المسلمين الذي تبنت التعليم العربي الحر، أو مدارس أوجدتها السلطات الاستعمارية سعت لإدماج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي [4] ، فالأولى كان غرضها المحافظة على مقومات الهوية الجزائرية و إعداد جيل يعتز و يفتخر بانتمائه، ملتزما بقيمه و معاييره و تقاليده، واعيا بمجريات الأمور في النواحي المختلفة الاجتماعية، الاقتصادية، و السياسية، و يكون قادرا على حل المشكلات التي تعترض بلده و الدفاع عليه من كل الأخطار التي تتربص به، أما المدارس الثانية التي أنشأتها الإدارة الفرنسية كانت تهدف إلى عكس هذا المنحى من خلال سعيها بشتى الطرق إلى خلق جيل هجين -ممزق و تائه بين حضارتين مختلفتين، و إبعاد الطفل عن قضايا بلاده و إشعاره بالدونية من خلال تمجيد الغرب و السخرية من أمجاد الوطن، و إضعاف روح الانتماء نحو الوطن و تقوية الانتماء تجاه الغرب مع عدم التركيز على العوامل التثقيفية و التعليمية للطفل، و قتل روح المقاومة في المتمدرسين بترسيخ فكرة أن فرنسا هي الوطن الأم، و من ضحايا هذا التكوين المنحدر من المدارس الفرنسية نجد فرحات عباس الذي صرّح بصريح العبارة في الثلاثينات بأن :"إن الجزائر أرض فرنسية، و أننا فرنسيون لا نظام إسلامي لأحوالنا الشخصية ، و المرغوب هو السير من المستعمرة إلى المقاطعة"[5] . و في نفس الإطار صرح فرحات عباس في جريدة الوفاق الفرنسي بتاريخ 27 فبراير 1936 في العدد 24 مقالته الشهيرة "فرنسا هي أنا"[6] .

---

[1] - سناء كاظم كاطع، المنطلقات الفكرية للحركة الإسلامية الجزائرية و جدلية العلاقة مع النظام السياسي، مجلة الدراسات الدولية، العدد 45، 2010، ص 84.

[2] - مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج2، ط2، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 2007، ص ص 232-243.

[3] - سناء كاظم كاطع، المرجع السابق، ص 84.

[4] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] - عباس محمد الصغير، المرجع السابق، ص 38.

[6] - بو عبد الله عبد الحفيظ، فرحات عباس بين الإدماج و الوطنية (1919-1962)، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2005-2006، ص 74.

إن هذا الاقتناع الراسخ الذي آمن به فرحات عباس حول عدالة و حضارة فرنسا، هو الذي دفع به إلى القول "بأن فرنسا أنا"، و مرد هذا الاعتقاد راجع إلى التكوين الذي تلقاه في المدارس الحكومية الفرنسية و تأثره بمبادئ الثورة الفرنسية خلال هذه الحقبة الزمنية، و كذا إلى الضغوطات التي مورست ضده من طرف السلطات الفرنسية و اتهامه بالوطنية، التي كانت تعتبر جريمة يعاقب عليها القانون، و لا يمكن لوم فرحات عباس على التوجه الفكري المفروض عليخ وفق التكوين و القناعة التي رسخت في ذهنه و التي فرضها الواقع الاستعماري، لأن هذه القناعة وجدت عند شخصيات وطنية أخرى كان لها باع كبير في خدمة القضية الوطنية أمثال سي محمد برحال الذي عُرف بمواقفه و دفاعه عن اللغة العربية و قضايا أخرى تخدم مصلحة الجزائر المستعمرة، لكن رغم وقوفه في وجه الاستعمار بدا واقعيا تأثره بالحضارة و الثقافة الفرنسية، حيث صرح هذا الأخير قبل سنة 1914م قائلا.: "بأنه لا يعرف شيئا في الجزائر اسمه الوطنية او الوحدة الإسلامية و لكن من المحتمل الوصول إلى ذلك يوما ما"، و لا يمكن الوصول إلى هذا اليوم (الوطنية و الوحدة الإسلامية) إلا بتضافر جهود الطبقة المثقفة، هذه الفئة المثقفة النخبوية هي التي يقع على عاتقها قيادة و توجيه شعبها و التأثير فيه، إما في الاتجاه الأحسن أو الاتجاه الأسوأ، و لهذا كان الكل بما فيهم المتجنسون يعتقد أن الأغلبية الجاهلة في حاجة إلى من يدافع عنها، و في هذا الصدد كان بن رحال منذ 1891م، يكرر هذه العبارة المناسبة للموضوع: "من لم يكن منضما إلى إحدى الفئتين فان يدافع عنه أحد" [1] ، لكن إذا كانت النخبة مؤمنة بقدراتها على لعب دور المدافع عن الشعب مهما كانت توجهاته و قيمه الأصيلة، فإن الاتجاه الأحسن سيتحقق لا محالة من خلال الدفاع عن الوطنية و رفض المسايرة و الاستقالة[2] ، من أي عمل لا يحقق هذه الوطنية المغمورة في قلب كل غيور على وطنه، و بناء وطن مستقل يتسع لجميع أطياف و مكونات شعب رافض للعبودية و العيش تحت سلطة الاستعمار.

إنّ اختلاف الرؤى و التوجهات دفعت بنا لمحاولة التعرف عل بعض النماذج المختلفة للمدارس التي أفرزت لنا الأفكار المختلفة لشعب ينتمي إلى رقعة جغرافية واحدة، فكر يدعوا إلى الأصالة و آخر يُنظِر للتغريب، و السؤال الذي يتبادر إلى ذهن الباحث هو تأثير المدرسة في صقل شخصية المتعلم و تكوينه بحكم أن المنظومة التربوية و التعليمية عي الأداة الرئيسية في عملية توجيه الفرد [3] ، و في هذا الصدد يسوق لنا شبل بدران في كتابه "التربية المقارنة" الدراسة التي قام بها رائد التربية المقارنة

[1] -غي بريفيلي، المرجع السابق، ص ص 125-132.

[2] المرجع نفسه، ص 138.

[3] -رابح لونيسي،المرجع السابق، ص 412.

الانجليزي "ماثيو ارلند" و التي بيّن من خلالها الفوارق الموجودة بين فرنسا و ألمانيا في تكوين شخصية مجتمعاتهم بفضل النظم التربوية المدرسة في البلدين السالفين، حيث يقول : "... قام بتسجيل بعض الملاحظات الدقيقة حول الفروق المتعلقة بشخصية الأمة و ذلك بعد زيارته لفرنسا و ألمانيا في عام 1895 و 1865"[1] .

لا شك ان هذه المدارس التي كانت تهدف إلى الأصالة هي من نتاج المدافعين عن مقومات الشخصية العربية الإسلامية، و التي كونت لنا نخبة معربة كالمصلحين، و على رأسهم جمعية العلماء المسلمين و كذلك العلماء الذين درسوا و تخرجوا من مراكز التعليم العالي في البلدان العربية (تونس، المغرب الأقصى، مصر، المشرق العربي)، وكان هذه الفئة إصلاح المجتمع الجزائري بإعادة الاعتبار للغة العربية و ترقيتها و الحفاظ عليها من التحريف و المسخ، من خلال الاهتمام بنشر التعليم العربي الإسلامي و ربط المجتمع الجزائري بماضيه و حضارته الإسلامية، و تنويره ليستطيع الوقوف في وجه المخاطر التي تتربص به، أما الفئة الثانية فهي ذات التكوين الفرنسي أو التي يطلق عليها الصفوة المفرنسة التي تنادي بالتغريب فهدفها دمج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي، فلا شك أنها من نتاج أطروحة الجزائر الفرنسية و التي كانت تعتبر إصلاح المجتمع الجزائري لا يتم إلا بإقدام فرنسا على دمج الشعب الجزائري، و قد ضمت اتجاهين أحدهما يطالب بالمساومة السياسية في إطار الاحتفاظ بأحوال الشخصية العربية الإسلامية و الذي مثله الأمير خالد، و اتجاه يقبل بالتجنس بالجنسية الفرنسية مع التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية، مقابل الاستفادة من الحقوق السياسية و المساواة الكاملة مع الفرنسيين، و كان على رأس هذه الفئة ابن التهامي[2] .

المطلب الثالث: الاتجاهات الفكرية للنخبة و وسائل نضالها:

1 - اتجاهاتها الفكرية :

أ - الاتجاه الإدماجي:

يتكون من مجموعة من الشبان الجزائريين المثقفين بالثقافة الفرنسية و الذين انبهروا بالحضارة الأوروبية، و هذه الفئة تجنست بالجنسية الفرنسية و تخلت عن أحوالها الشخصية، فهي فئة مميزة لا هي جزائري بثقافتها و فكرها، و لا هي فرنسية بعرقها و جنسها، و من هنا وقعت عرضة

[1] -شبل بدران، التربية المقارنة دراسات في نظام التعليم ، ط4(مزيدة ومنقحة)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،2004،ص 19.

[2] -أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية،...، ج2، المرجع السابق، ص 152.

لازدراء المجتمع الجزائري [1]. و أغلبهم ينتمون إلى عائلات ميسورة الحال أو متوسطة الدخل، نمو في أحضان الحضارة الغربية فتأثروا بمبادئها و كان جلهم موظفين و محامين و أطباء و معلمين [2]، و يذكر "علي مراد" أن جماعة النخبة الإدماجية لم يتبنوا أفكار الغرب و وسائل عيشه و طريقته في العمل و ثقافته و تعليمه فحسب، بل سعوا إلى نشر ذلك في أوساط المجتمع الجزائري بقصد إخراجه من الجهل و التخلف، و تطويره و جعله مجتمعا متقدما في إطار مبادئ الديمقراطية و العدل و المساواة الفرنسية، كما تزوج أفرادها من فرنسيات[3].

و يظهر "الشريف بن حبيلس" في كتابه "الجزائر الفرنسية" احتقاره للوسط التقليدي و يرفع في المقابل شأن الحضارة الغربية [4]، و من بين هذه الفئة نذكر منهم "ابن التهامي" [5]، و "الشريف بن حبيلس".[6]

ب -الاتجاه المزدوج الثقافة (عربي- فرنسي) :

هم مجموعة من الشبان الجزائريين المتشبعين بالثقافة العربية الإسلامية أو هي مزدوجة الثقافة و الوعي بالهوية الوطنية و هو صنف المتعلمين الذين استفادوا من فرص التعليم الفرنسي، و إن كانت بدرجات متفاوتة، لكنهم ظلوا متشبثين بمظاهر الشخصية الوطنية حريصين على عدم الانفصال عن قاعدتهم الاجتماعية، و هذه الجماعة دعت إلى الاستفادة من الثقافة الغربية المتطورة [7]

.

و من أهم قادة هذا التيار "الأمير خالد"[8]، الذي أسس في سنة 1922م جمعية الإخاء التي طال من خلالها بإلغاء القوانين الاستثنائية، و إعطاء الجزائريين حقوقهم في التمثيل النيابي و عارض

[1] - عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954، ط3، دار هومة، الجزائر، 2009، ص ص 68-69

[2] -شوقي عطا الله جمل، الأزهر و دوره السياسي و الحضاري في إفريقيا، مركز وثائق و تاريخ مصر المعاصر، 1988، ص ص93-94

[3] -علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940، ترجمة: محمد يحياتن، د-ط، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 57.

[4] - شريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية، ترجمة: عبد الله حمادي و آخرون، د-ط، الجزائر، ط-ت، ص 131.

[5] - ابن التهامي: ولد حميدة مؤسس و رئيس شرفي للعديد من الجمعيات الجزائرية الكبار لسياسة التجنيس الشامل للجزائريين و الذي يدعو إليه على صفات جريدته"Altakaddom" و كان إلى جانب المحامي لدى محكمة الاستئناف في الجزائر "أحمد بوضربة" رئيس الوفد الشباني الذي قاد إلى باريس 1908 لجنة الدفاع عن حقوق الأهالي . ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص160.

[6] - أنظر الملحق رقم3 .

[7] - مهديد، المرجع السابق، ص85.

[8] - الأمير خالد: ولد سنة1875 بدمشق، تخرج من مدرسة سان سير الفرنسية، شارك إلى جانب فرنسا في ح ع 1 دخل إلى الجزائر و تفرغ إلى العمل السياسي و أسس جمعية الإخاء، و قاد الوفد الجزائري في مؤتمر الصلح، توفي سنة 1936.

الإدماج و المساواة في الخدمة العسكرية، و استعمل جريدة "الإقدام" كوسيلة للدفاع عن مصالح الجزائريين[1] .

و من سمات هذه النخبة أنها كانت تحاول التوفيق بين الاتجاهين [2] ، و ذلك نتيجة ثقافتها المزدوجة، فإلى جانب دراستها في الكتاتيب و الزوايا التي سمحت لها بالاطلاع على لب الحضارة العربية الإسلامية، فقد ساعفها الحظ في ولوج المدارس الفرنسية و إقامة علاقات مع الفرنسيين و هذا ما أهّلها لاكتساب الثقافة الغربية التي اتخذت منها كسلاح لمجابهة المستشرقين و التصدي لمخططات المستعمرين.

ج - الاتجاه الاصطلاحي:

هي مجموعة من الشخصيات المثقفة بالثقافة العربية الإسلامية كانت تؤمن بضرورة الحفاظ على تعاليم الدين الإسلامي و التعليم العربي و القيم الإسلامية الأصيلة [3] ، و يذكر "سعد الله" أن هذا الاتجاه يضم كل المثقفين التقليديين أو العلماء و من المحاربين القدماء و من زعماء الدين و بعض الإقطاعيين و المرابطين[4] .

و معظم المثقفون بالثقافة العربية هم من خريجي المعاهد التقليدية، و نظرا لتقلص هذه المعاهد في الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي فقد كان مثقفو العربية يترددون على معاهد خارجية خاصة جامع الزيتونة في تونس و جامع القرويين في المغرب، و هناك عناصر أكملت تعليمها في الأزهر منذ فترة العشرينات و الثلاثينات[5] .

كما عارض هذا الاتجاه بشدة الأفكار الغربية و التجنيس و التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي، و كان شعارهم نعم للإصلاح بشرط المحافظة على الهوية الإسلامية و لم يكن كل زعماء هذه الفئة أعداء للإصلاح و الدين، بل عارضوا التغيير خوفا من أنه قد يؤدي إلى دمج الجزائريين في فرنسا[6] فرنسا[6] ، فطالبوا فرنسا بإصلاح الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية للجزائريين، و إلغاء قانون الأهالي و

[1]- جريدة المنتقد، جمع و اعتناء الهادي قطش، د ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 31.

[2] - يحي بوعزيز، الاتجاه اليمني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوص 1912-1948، ط خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 21.

[3] - عبد الوهاب بن خلف، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط1، دزاير انفو، الجزائر، 2013، ص 133.

[4]- سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 145.

[5] - محمد الميلي، الجزائر و المسألة الثقافية التناقصات الثقافية، المستقبل العربي، ع 44، م.د.و.ع، نوفمبر 1982، ص 40.

[6] - خيثر عبد النور و آخرون، منطلقات و أسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، ص98.

نشر تعليم اللغة العربية، و العمل بالقضاء الإسلامي، و المساواة في الحقوق السياسية، مع عدم المساس بالأصالة الإسلامية للجزائريين [1] .

و من أبرز المصلحين:"عمر بن قدور الجزائري" [2] ، "عبد الحليم بن سماية"، و غيرهما ممن كانوا معاصرين لحركة الجامعة الإسلامية في المشرق و متأثرين بها، و بأفكارهم "محمد عبده" و "رشيد رضا"، و زعماء آخرين للحركة، و نظرا لمكانتهم المحترمة و كعلماء و مثقفين فإن آراءهم كانت محترمة من المجتمع الجزائري [3] .

2 - وسائل نضال النخبة الجزائرية:

أ - الصحافة:

شرع الشبان الجزائريون منذ مطلع القرن العشرين في تأسيس صحافة لإسماع صوتهم لأقرانهم الذين لم يلتحقوا بهم من جهة، و إلى السلطات الاستعمارية من جهة أخرى.

و لا شك أن السماح بإنشاء صحف في الجزائر قد شجع النخبة المثقفة في البلاد على اقتحام هذا الميدان الذي ظل حكرا على المجموعة الأوروبية [4] منذ سبعين عاما.

من بين الصحف التي احتكرتها الإدارة الفرنسية "الأخبار" [5] ، و "المبشر" [6] ، و كانت أول جريدة انطلق منها الشباب الجزائريين في ميدان الصحافة هي جريدة "الحق" التي صدرت في عنابة 30-05-1893 و هي مزدوجة اللغة، ويذكر الدكتور "محمد الناصر" أن "الحق" تعتبر الصحيفة العربية الأولى

---

[1] - ناصر بلحاج، مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري(1912-1916)، شهادة الماجيستير(مرقونة)المدرسة العليا للآداب و العلوم الإنسانية بوزريعة، 2004-2005، ص65.

[2] - عمر بن قدور الجزائري: ولد بمدينة الأربعاء ضواحي الجزائر حقران و اكتسب مبادئ اللغة العربية ثم التحق بالمدرسة الرسمية التي كان التعليم فيها مزدوج اللغة، فهو من رواد الصحافة العربية الوطنية في الجزائر، أنشأ جريدة الفاروق 1913/02/28، و عني بالقضايا التي تهم المسلمين في العالمين العربي و الإسلامي وفي سنة 1920 حول جريدة الفاروق إلى مجلة، للمزيد أنظر: جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار دراسات في التاريخ المعاصر، مج6،دط، منشورات وزارة المجاهدين الجزائر، 2009، ص 93.

[3] - علي مراد، المرجع السابق، ص 37.

[4] - الجمعي خمري، حركة الشبان الجزائريين و التونسيين (1900-1930)، دراسة تاريخية و سياسية مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر (مرقونة)، جامعة قسنطينة، 2002-2003، ص 139.

[5] - الأخبار، و هي صحيفة أسبوعية تصدر بالفرنسية أسست 1839م سنة 1909م أصبحت تصدر باللسانين (ست صفحات بالفرنسية، و صفحتان بالعربية)، و قد استمرت في الصدور إلى غاية سنة 1934م، للمزيد انظر: سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 181.

[6] - المبشر: تأسست سنة 1847م، و كانت تصدر بالعربية و الفرنسية و قد استغل عدد من النخبة الجزائرية في إدارة تحريرها أواخر القرن العشرين و كان هدف كل من الجريدتين الرسميتين الأخبار، و المبشر اطلاع الجزائريين على الأخبار الرسمية و إعطائهم توجهها لصالح فرنسا، للمزيد انظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 35.

التي كشفت دسائس اليهود و فضحت تحايلهم في الإستيلاء على أملاك الأهالي [1] ، إلى جانب جريدة "الحق" نجد "جريدة المصباح" التي تأسست سنة 1904م بمدينة وهران، كانت جريدة مزدوجة اللغة، اتخذت شعار"جريدة لفرنسا بالأهالي" و تمثلت مهمة المصباح في الإسهام في التعايش بين المجموعة الفرنسية و المجموعة الجزائرية، فكانت لهاتين الصحيفتين هدفا للمتاعب و المؤامرات [2] .

و بعد توقف المصباح كان على قراء الصحافة المحلية لا سيما "الشبان الجزائري" أن ينتظروا خمس سنوات أخرى لظهور جرائد تعبر عن اتجاههم الفكري الجديد في الوسط الجزائري و كذلك الوسط الأوروبي [3] .

تواصل ظهور الصحف و الجرائد من طرف الأهالي الجزائريين حيث ظهرت جريدة كوكب إفريقيا و هي أولى الجرائد العربية استطاعت الوقوف على قدميها طويلا، عملت من أجل التقارب بين العرقين الفرنسي و العربي و وحدة مصالحهما [4] ، و في عام 1909م أصدر "الصادق دندان" و هو أحد زعماء النخبة المتغربة أسبوعية الإسلام و تدعى " لسان الحال الأسبوعي الديمقراطي للمسلمين الجزائريين" واصلت هذه الصحيفة صدورها بانتظام [5] ، حتى بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، 1914م، و جريدة الراشدي سنة 1911م، تهدف هاتين الجريدتين إلى الدفاع و المطالبة بحقوق المسلمين الجزائريين و إطلاعهم على ما تنشره الصحافة الفرنسية، و هناك مجموعة من الصحف التي تلت هذه الصحف منها الفاروق سنة 1913م، سبق ذكرها، "ذو الفقار"[6] 1913م، "المنتقد"[7] 1925م .

.

بعد قيام الحرب العالمية الأولى تتوقف صحف الشبان عن الصدور و ينتقل الكثير منهم إلى المشاركة في الحرب الكونية، و بعد انهزام الألمان و انتصار فرنسا و حلفائها يعود الشبان الجزائريون إلى أرض الوطن، و تظهر من جديد حركة الصحافة، و من الصحف التي صدرت بعد الحرب العالمية الأولى

[1] - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1839، دط، ش.و.ن.ع، الجزائر 1980، ص22.

[2] -خثير، المرجع السابق، ص28.

[3] -سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص134.

[4] - شال روبير اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، ج2، تر: جمال فاطمي و آخرون، ط1، دار الأمة، الجزائر،2008، ص375.

[5] - أجيرون، نفسه، ص 376.

[6] - ذو الفقار، أسسها عمر البند سنة 1913م، و هي جريدة عمومية انتقادية اشتراكية، حاول عمر راسو من خلالها التعبير عن الواقع المؤلم الذي يتخبط فيه أبناء وطنه، وكرر اسم صاحب الجريدة ليبدوا أنه متشبع بأفكار محمد عبده الإصلاحية، و هي جريدة إصلاحية كما ذكر صرح كرر اسم "أنها جريدة عبدوية إصلاحية " للمزيد انظر: محمد ناصر، المرجع السابق، ص40.

[7] - المنتقد: هي جريدة سياسية تهذيبية انتقادية ، شعارها (الحق فوق كل أحد و الوطن قبل كل شيء) لصاحبها عبد الحميد بن باديس و هي أسبوعية تصدر كل يوم خميس ظهر عددها الأول يوم 2 جويلية 1925، للمزيد انظر: جريدة المنتقد، المصدر السابق، ص 336.

"جريدة الإقدام" [1]، صدرت بعد صدور قانون كليمنصو في فيفري 1919، من طرف مجموعة من الشباب الوطنيين و هم "الصادق دندان" صاحب "جريدة الإسلام"، و "الحاج عمار" مدير "جريدة الراشدي"، و "الأمير خالد"، ظهرت باللغة الفرنسية منذ سبتمبر 1920م، و أصبحت تحوي على صفحتين باللغة العربية يشرف عليها "الأمير خالد" و هي جريدة وطنية 1923م، و يدعوا فيها إلى التعليم[2].

و من أهم الجرائد التي تعلق بها الشعب الجزائري صحيفة المغرب و هي أسبوعية ناطقة باللغة العربية ذات الاتجاه الإصلاحي، و قد اهتمت بها النخبة المثقفة و كتبت فيها و نقلت أعمالها و أفكارها المختلفة للشعب، و من الذين كتبوا فيها "عبد القادر المجاوي"، و "المولود بن الموهوب"، و "بن أبي شنب"[3]،و اعتبرها الشيخ "محمد عبده" مفيدة رغم أخطائها، لأنها كانت تحمل أفكار من التيار الوطني[4]. الوطني[4].

ب - الجمعيات و النوادي الثقافية:

عرفت الجزائر في فترة عددا من النوادي و الجمعيات الثقافية التي تؤدي وظيفة المدرسة، وملتقى اجتماعي للرياضة و التعاون و الكشافة و مقر للنشاط السياسي، و أكثر أسماء هذه المراكز والجمعيات تدل على روحها و على برنامجها مثل التوفيقية، و من هذه الجمعيات و النوادي التي لعبت دورا بارزا في إبلاغ الأفكار الإصلاحية إلى المواطن، و شكلت إحدى مظاهر النهضة الثقافية[5].

✓ **الجمعية الراشدية:**

[1] - أنظر الملحق رقم 4.

[2] - مولود قرين، عمر قدور الجزائري دوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1886-1932)، ج1،ط خاصة، دار الخليل، الجلفة، 2013، ص 118.

[3] - أنظر الملحق رقم 5.

[4] - وفاء نعاسي، الطلبة الجزائريون الزيتونيون و الحركة الإصلاحية الجزائرية، (1900-1954)، مذكرة الماستر(مرقونة)، جامعة بسكرة، 2013-2014، ص 27.

[5] - خيثر و آخرون، المرجع السابق، ص 112.

تأسست سنة 1902م، كانت في البداية عبارة عن جمعية صداقة بين التلاميذ القدامى خريجي المدارس الفرنسية الأهلية، لقد نجحت في الانتشار خارج الجزائر العاصمة بمبادرة بعض المدارس الفرنسية[1] ، و كانت تصدر بالعربية و الفرنسية، و تعقد سلسلة من المحاضرات الهامة[2] .

و يتضح من خلال هذه المحاضرات أهمية نشاط الراشدية الثقافي سنة 1907م، هذه النماذج من نشاط الشبان الجزائريين الثقافي يدل على وعي هذه الفئة بضرورة نشر العلوم الثقافية عامة و خاصة بين أبناء الجزائريين المتعلمين، و كذلك مدى ارتباطهم الوثيق بالمجتمع الأهلي، و اهتمامهم بالحضارة الإسلامية فهم يريدون إدخال الأساليب الحديثة في حياة المجتمع الأهلي، و من ناحية أخرى كانوا يريدون إبقاءه[3] على صلة وثيقة بتاريخه العربي الإسلامي، و أشهر أعضائها "ابن التهامي" و الدكتور "ابن بريهمات".

✓ **الجمعية التوفيقية:**

تأسست سنة 1908م بمدينة الجزائر ثم عادت النخبة تنظيمها سنة 1911م، و قد اهتمت الجمعية التوفيقية في المقام الأول بجمع شمل النخبة الأهلية المتخرجة من المدارس الفرنسية من أجل تأليف و تكوين اتحاد بينهم لمعالجة القضايا التي تشغل بال المجتمع الجزائري، كان رئيسها "بن التهامي" و لقد نظمت الجمعية التوفيقية سلسة من المحاضرات العلمية [4] سنة 1911، قد تساعدنا على فهم ذلك العهد [5] .

إلى جانب هذه المحاضرات فإن مكتبة الجمعية التوفيقية حافلة بالكتب و المجلات، و كانت تهدف الجمعية من هذه المحاضرات ترسيخ التقاليد الثقافية و توعية المنتسبين إلى الجمعية[6] .

و في سنة 1907م تم إنشاء نادي "صالح باي" في قسنطينة، الذي كان ينشطه "ابن موهوب"، و كان عبارة عن مجمع للدراسات الأدبية و العلمية و الاجتماعية، و من بين أهداف هذا النادي تنظيم

[1] - شارل روبير آجيرون، الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871-1919، ج2، تر: م. حاج مسعود، ع بعريبي، دط، دار الرائد، الجزائر، 2007، ص 709م.

[2] - تقوم جمعية الراشدية بعقد سلسلة من المحاضرات الهامة و تساعد على نشر التعليم، ومن نماذج المحاضرات التي نظمتها الجمعية سنة 1907، للاطلاع على محاضرات الجمعية . انظر: سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 140.

[3] - خمري، المرجع السابق، ص 280.

[4] - للاطلاع على المحاضرات التي نظمتها الجمعية التوفيقية انظر: سعد الله، المرجع السابق، ص 138.

[5] - نفسه، ص138.

[6] - خمري، المرجع السابق، ص 286.

التعليم العام و المهني و عقد المحاضرات في العلوم و الآداب، و إنشاء جمعية خيرية، بلغ عدد أعضائه في سنة 1910م ، (700) عضوا من بينهم 500 يتابعون دروسا تحث طلب [1] .

و يمكن القول أن كل من الجمعية الراشدية و التوفيقية و نادي صالح باي ساهموا في يقظة الجزائريين، و قد حولوا أن يطوروا المجتمع الجزائري من خلال تقديم المحاضرات للإرشاد، و إعارة الكتب من المكتبات [2] .

ج- العرائض:

إن استعمال العرائض لم يكن بجديد تحت الحكم الفرنسي، و لقد استعمل هذا الأسلوب أول مرة في السنوات الأولى للاحتلال، و قد افتتح العمل بهذه الطريقة زعماء المقاومة الأوائل أمثال "حمدان بن خوجة"

اغتنم الشبان الجزائريون فرصة مناقشة المجلس الوطني الفرنسي 1887م، لمشروع التجنيس فأرسلوا عريضة [3] إلى المجلس الوطني الفرنسي و أعلنوا فيها معارضتهم المطلقة للمشروع و طالبوا السلطات الفرنسية بأن تتركهم على أحوالهم الشخصية الإسلامية، أو كما عبر عن ذلك "جول فيري" {دعونا لحالنا}، ومن جملة المطالب، تنظيم المدارس العربية و نشر التعليم بين الجزائريين[4] .

و في نفس العهد قدم بعض الجزائريين المعنيين الأهالي لوائح مختلفة إلى الفرنسيين تحتوي على مطالب هامة، طالب أحد الجزائريين سنة 1921 "محمد بن رحال" وهو عضو من كتلة النخبة التقليدية بأنه كان قد قرأ مذكرة سنة 1892 أمام "جول فيري" توصي بإعادة تنظيم التعليم العربي [5].

و لعل أقوى العرائض و أكثرها وضوحا و أثر للشباب الجزائري هي العريضة التي أرسلتها لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين في يوم 27-05-1912م، إلى حكومة الجمهورية و المجلس الوطني الفرنسي.

---

[1] - نفسه.

[2] - آجيرون، الجزائريون و المسلمون و فرنسا، ج2، ص 710.

[3] -أنظر الملحق رقم 6.

[4] - للإطلاع أكثر على مطالب الشبان الجزائريين أنظر: سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص 174.

[5] - نفسه ص 175.

و قد عبروا فيها على أن قانون التجنيد الإجباري الصادر في 1912م جاء معاديا للديمقراطية لأنه فرض على الجزائريين عملا جديدا دون أن يعطيهم الحقوق السياسية و المدنية التي هي ضرورية، و في المقابل طالب أصحاب العريضة[1] :

1 - تخفيض مدة الخدمة العسكرية إلى سنتين بدل ثلاث سنوات.

2 - إلغاء قانون الأهالي.

3 - الاعتراف بمبدأ المساواة فيما يخص توزيع الضرائب و التمثيل النيابي [2] .

و إذا كانت وسيلة العرائض قد ساهمت في التعريف بالشبان الجزائريين و برنامجهم للرأس العام المحلي و الرأي العام الفرنسي، فإن وسيلة الوفود كانت هي الأخرى بها فائدة واسعة للدفاع عن أهدافهم، و قد قام الشبان الجزائريين بإرسال وفد إلى باريس سنة 1908م يترأسه هذا الوفد المحامي "أحمد بوضربة"، قدم عريضة ضد الخدمة العسكرية مع التوضيح أن رفض الخدمة العسكرية لا يعني رفضهم للمبدأ بشرط أن يستفيد السكان العرب من جميع الحقوق المنية، و جاء رد "كليمانصو" أنه مستعد لدراسة إمكانية توسيع مجال هذه الحقوق دون السعي وراء فكرة إدماج العرق العربي في المؤسسات الفرنسية نظرا لتعذر إدماج العادات و التقاليد العربية ضمن المؤسسات الفرنسية [3] .

بعد أربع سنوات من تاريخ إرسال الوفد الأول سنة 1912م، عاود الشبان الجزائريين إرسال وفد آخر إلى الحكومة الفرنسية، عندما تأكدوا من أن الفرنسيين كانوا سيصوتون على قانون التجنيد الإجباري دون دراسة قضية الحقوق السياسية للجزائريين، ترأس الوفد "ابن التهامي"، استقبل الوفد من قبل رئيس المجلس "بوانكاري" وأهم مطالب الوفد [4] .

إن هذه البعثات التي قام بها الشباب الجزائري حققت نتائج جيدة [5] ، إذ أصبح الشبان الجزائريين هم الناطقون باسم المجتمع الجزائري.

---

[1] - سعد الله، نفسه، ص 176.

[2] - عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى (1920-1936)، ج1،ط1، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص 43.

[3] -اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، ص 379.

[4] - أهم المطالب: ضرورة التوزيع العادل للضرائب و موارد الميزانية، ضرورة تغيير النظام القمعي بإلغاء قانون الأهالي و المحاكم القمعية، ضرورة توسيع الهيئة الانتخابية، ضرورة إدخال تعديلات على مدة الخدمة العسكرية، انظر: سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 174.

[5] - آجيرون، الجزائر المسلمون و فرنسا، ج2،ص 715.

بعد الحرب العالمية الأولى أسس الشباب الجزائري سنة 1927 اتحاد النواب المسلمين الجزائريين، و من أهم المطالب التي طالبو بها ضرورة تمثيل الجزائريين في البرلمان، و إلغاء قانون الأهالي [1].

رغم المجهودات و المساعي التي قام بها الشبان الجزائريين في شأن إصلاح أوضاع الجزائريين، خاصة قضية التجنيد الإجباري، و مساهمتهم الفعالة في إرساء ثقافة و أسلوب جديد ألا و هو العرائض و الوفود، لكن وعود "كليمانصو" و "بوانكاري" عبارة عن تصريحات سياسيين فقط لا ضامن تطبيقها في الواقع [2].

د- التمثيل النيابي:

كان الشباب الجزائريون أول من طرح في بداية القرن20بصفة للسياسية بعض جوانب قضية الأهالي [3].

و تعددت قضية التمثيل في الجزائر بأن العهد الكولونيالي دليل آخر على سياسة اللين و الحوار اللذين كانت تمارسهما الإدارة الفرنسية، و وسيلة من وسائل الحصار السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي التي تستخدمها لإبعاد المسلمين الجزائريين من مناصب المشاركة في الحكم، لكي يخلوا لها بذاك الجو لتتحكم في رقاب المسلمين و إدارة الأمور في الاتجاه الذي يخدم مصالحها الاستعمارية[4] .

و لما كانت قضية التمثيل النيابي في جميع المستويات المحلية و الوطنية، من القضايا الأساسية في الدفاع عن حقوق الجزائريين المسلمين فإن الشباب الجزائريين أولوها بالغ اهتمامهم و سخروا لها كل إمكانياتهم المادية و المعنوية [5] ، فالأهالي الجزائريين لا يتمتعون بتمثيل حقيقي في المجالس النيابية، النيابية، كما أن بعضها ليس لهم فيها حق التمثيل عل الإطلاق، بل أن تمثيلهم في مختلف المجالس كان بدون فعالية تذكر [6].

---

[1] - يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحزبين العالميين (1919-1939)، دط، م.و.ك، الجزائر، 1988، ص 14.

[2] آجيرون، الجزائر المسلمون و فرنسا، ص 715.

[3] محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية(1919-1939)، ج1، تر: محمد بن البار، ط خاصة، دار الأمة، 2011، ص 107.

[4] - خمري، المرجع السابق، ص 171.

[5] - نفسه،ص 171.

[6] - نفسه، ص173.

و في هذا الصدد يقول "عبد الرحمان الجيلالي" أنه كان يسمح للأهالي الحصول على أربع مقاعد في المجالس البلدية (البلديات ذات الصلاحيات الكاملة)، دون أن يتجاوز عدد ممثليهم سنة، أما في المجلس المالي فإن عدد ممثلي الأهالي فيه يشغلون 21 مقعدا فقط، منهم 15 ينتخبون انتخابا في العمالات الثلاث الشمالية، و في منطقة الجنوب العسكري، يعينهم الحاكم [1] ، و في سياق الحديث عن المجلس المالي نرى أن تمثيل الجزائريين المسلمين داخل المفوضيات المالية ظل عبارة عن دور استشاري فقط منذ 1900م، بسبب موقف الكولون المعارض و رموزهم (مورينو، و لوسياني)، الذين عارضوا و إلى غاية 1908م كل أنواع الانتخابات السياسية الخاصة بالأهالي [2] .

و طبقا لهذه السياسة المجحفة و الجائرة فقد خاض الشبان الجزائريون صراعا قاسيا للوصول إلى تحسين و ضع الأهالي في المجالس المختلفة، هذا الصراع سوف يكون على شقين:

1 - المطالبة بتوسيع مكانة الجزائريين المسلمين داخل الجهاز التمثيلي لمختلف المجالس (البلدية، العمالة، اللجان المالية، و الرلمان الفرنسي)

2 - السماح للنخبة المثقفة ثقافة فرنسية بتمثيل الجزائريين المسلمين بدلا من العناصر المعروفة ببني وي وي [3] .

فالتمثيل النيابي و المطالبة بالحقوق السياسية أصبح الناطق الرسمي لهذه الشريحة من المجتمع الجزائري[4] . و يعتبر عمل الشبان تجديد مطالب أسلافهم بوسائل جديدة [5] .

ومن الدراسات القانونية الهامة حول التمثيل النيابي للجزائريين المسلمين، دراسة "ابن علي فخار"، الذي وضعها سنة 1909م، بعد سنة واحدة من إرسال أول وفد من الشبان الجزائريين إلى باريس لتقديم المطالب الأهلية للحكومة الفرنسية [6] . حيث أدرج في هذه المطالب ضرورة التساوي مع الفرنسيين ، حيث يتصاعد نسبة تمثيل المسلمين في المجالس المحلية من جهة، و حصول النخبة المثقفة المفرنسة على حقوق انتخابية متساوية مع المواطنين الفرنسيين من جهة أخرى [7] .

[1] - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، شركة دار الأمة، الجزائر، 2014، ص 196.

[2] - مهديد، المرجع السابق، ص 152.

[3] - خمري، المرجع السابق، ص173.

[4] - مهديد، المرجع السابق، ص 153.

[5] - خمري، المرجع السابق، ص173.

[6] - نفسه، ص 174.

[7] - مهديد، المرجع السابق، ص153.

و من النقاط الهامة أيضا التي اهتم بها الشبان الجزائريون، هي النقطة المتعلقة بنوعية الممثلين الأهالي، و هي المسألة التي استحوذت علة نشاطهم، حيث كانت جرائدهم تطرح السؤال الآتي: من يمثلنا؟ و ماهي الشروط التي يجب أن تتوفر فيهم؟، و قد أجابوا عن هذه بإجابة تحليلية فقالوا: "تشتكي بعض الأوساط الأوروبية من موقف الأهالي داخل المجالس التمثيلية، و هذا التشكي ناتج في نظر الأوربيين عن تشبث الأهالي بعاداتهم و تقاليدهم إزاء التمثيل النيابي، و لم يطرأ أي نوع من التطور بالرغم من جهودنا طوال فترة وجودنا بين ظهرانهم"[1] .

إذن فإذا كانت نخبة القرن التاسع عشر قد تقدمت بمطالب تمثيلية محتشمة، فإن ظهور صحافة الشبان الجزائريين مع مطلع القرن العشرين، قد جعلت منه مطلبا أساسيا في برنامجهم، و بالرغم من شرعية مطلب التمثيل النيابي للجزائريين، فإن فرنسا و من ورائها مستوطنو الجزائر قد أبو ألا يحرموا الجزائريين من هذا الحق السياسي، و ظل الأمير خالد يذكر فرنسا بمطالب التمثيل النيابي حتى آخر أيامه [2] .

[1] - خمري، المرجع السابق، ص157.

[2] - خمري، المرجع السابق، ص ص 176-177.

المبحث الثاني:

السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر.

المطلب الأول: وسائل السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر.

1 -محاربة اللغة العربية .

2 -سياسة فرنسا اتجاه التاريخ العربي الإسلامي .

3 -السياسة التعليمية وسيلة لتنفيذ السياسة الثقافية الاستعمارية.

4 -توظيف الإعلام كوسيلة ثقافية .

5 -توظيف الفن في تنفيذ السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر.

المطلب الثاني: أهداف الثقافة الفرنسية في الجزائر

1 -الأهداف السياسية .

2 -الأهداف الاقتصادية .

3 -الأهداف الاجتماعية.

المطلب الأول : وسائل السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر:

1 - محاربة اللغة العربية:

ركّزت فرنسا منذ أن وطأت أقدامها أرض الجزائر على محاربة اللغة العربية، باعتبارها مقوما أساسيا لهوية الشعب الجزائري، فلقد كان الاستعمار يدرك تمام الإدراك أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية للمجتمع، و إنها الوعاء الحضاري الذي لعب على امتداد قرون عديدة دوره في التماسك الاجتماعي و القومي للمجتمع الجزائري، كما أنها تربط هذا المجتمع بالأمة العربية بالإضاف ة إلى كونها لغة القرآن و بالتالي فهي لغة الإسلام، الدين الذي يدين به الجزائريون، و عن ذلك يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس: "... هي الرابط الذي يربط بين ماضي الجزائر المجيد و حاضرها الأغر و مستقبلها السعيد، و هي لغة الدين و الجنسية و القومية، و لغة الوطنية المغروسة"[1] .

و يقول الشيخ البشير الإبراهيمي عن ذلك أيضا: "اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية و من ثم فهي لغة المسلمين ... و لهذه اللغة على الأمة حقان أكيدان كل منهما يقتضي وجوب تعلمها و المحافظة عليها"[2] .

أمام هذه المكانة التي تتمتع بها اللغة العربية في الجزائر حاول الاستعمار القضاء عليها بشتى الوسائل المتاحة، و هو ما نلمسه في تصريحات قادة الاحتلال منذ البداية، فهذا قائد الحملة الفرنسية على الجزائر دي بورمون [3] (DeBourmont)، وضع ضمن أولويته القضاء على اللغة العربية حيث

[1] - البصائر، السنة الرابعة العدد 171، قسنطينة 22-06-1939م، ص 5.

[2] - عيون البصائر، دار المعارف، القاهرة 1963، ص1.

[3] - دي بورمون، كان ضابطا بالحرس الفرنسي، ثم عين جنرالا في جيش منطقة لافوندي الفرنسية، ثم أرسل إلى بريطانيا لطلب النجدة التي وعدتهم بها الحكومة، إلا أن الأمور لم تسر كما يرام و كما كان مقدرا لها، و لذلك عاد إلى فرنسا سنة 1799م، حيث جمع بعض القوات في غرب فرنسا لتنظيم المقاومة الملكية، إلا أنه استسلم ثم سجن سنة 1801م إلى غاية 1805م، حيث فر من سجن مدينة بوزنسون أين لجأ إلى البرتغال التي شهد استسلامها أمام القوات الفرنسية، و بعد أن لفت أنظار القادة الفرنسيين عين عقيدا في جيش نابولي ثم جنرال فرقة، و بعد أن برز سنتي 1813 و 1814 في رد الاعتداء على مدينتي دراسد و نوجان، و تمت ترقيته إلى رتبة جنرال 1815م بجيش منطقة بوزانسن التي كان أسيرا بها، شغل منصب نائب و قائد للجيوش الفرنسية بإسبانيا، ثم عضو بالمجلس الأعلى للحرب، إلى أن أصبح وزيرا للحرب سنة 1829م، و على إثر الحملة الفرنسية على الجزائر التي كان قائدها رقي إلى رتبة مارشال من قبل الملك شارل العاشر، إلا ان الحكومة الجديدة لم تعترف بتلك الترقية و قامت بإنهاء مهمته بالجزائر، و عوض بالجنرال كلوزيل، غادر الجزائر في 03-09-1830م على متن سفينة تجارية نمساوية باتجاه بريطانيا ليلتحق بشارل العاشر الذي كان لاجئا بها. ينظر: L.E. Chnnechot,Histoire résumée de la guerre d'Alger, J.Corread jeune éditeur-Propriétaire, paris, 1830, pp 27-28.

صرح قائلا: "علموا لغتنا و انشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة" [1].

كما ورد في تقرير رسمي سنة 1849م ما يل : "لا ننسى أن لغتنا هي اللغة الحاكمة و بهذه اللغة يجب أن تصدر بأعظم ما يمكن جميع البلاغات الرسمية و بها يجب أن نكتب كل العقود ... فإن الأمور التي يجب أن نهتم بها قبل كل شيء هي السعي وراء جعل اللغة الفرنسية عامة بين كل الجزائريين، الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا و تمثيلهم بنا، و إدماجهم فينا و جعلهم فرنسيين "[2].

من خلال التصريحات نستخلص مدى إدراك السلطات الاستعمارية لمكانة اللغة العربية و مدى خطورتها على مستقبل الاحتلال في الجزائر، و بالتالي مبادرة إدارة الاحتلال إلى الهجوم على العربية في إطار ساستها الثقافية الاستعمارية.

لقد شن الاستعمار حربا شرسة على اللغة العربية، فهدم الكثير من المساجد و الزوايا و الكتاتيب القرآنية، و منع التدريس بها إلا برخصة، و غلق في وجهها معاهد التعليم التي أنشأها لتعليم أبناء الجزائر، ما عدا المدارس الثلاث [3]، و التي كانت غايتها تكوين موظفين في شؤون الإمامة و الفتوى و القضاء و الترجمة يعملون لصالح الإدارة الاستعمارية، و كان الهدف الآخر لهذه المدارس منافسة الزوايا التي تعمل على نشر العربية و المحافظة عليها.

أ - إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية:

حتى ينسى الجزائريون بمرور الزمن لغتهم و ثقافتهم القومية و تعويضها باللغة و الثقافة الفرنسية، مثلما حدث لكثير من الشعوب التي تعرضت للاستعمار الفرنسي المصحوب بالغزو الثقافي، و بما أن فرنسا تعلم يقينا أن القضاء على اللغة العربية له دوره في التعبئة الثقافية، و حتى تجعل الجزائري غريبا في وطنه، رأت أن القضاء على العربية يعني القضاء عللا تراث الأمة، لأن أعظم المؤسسات في أي أمة هي لغتها وسيلة تفكيرها و مستودع تراثها المشترك قديمه و حديثه و مصدر

[1] - سعاد سطحي ، وسائل المشروع الثقافي الاستعماري في القضاء على الهوية الوطنية، مجلة المعيار، قسنطينة، العدد10، سبتمبر2005، ص 45.

[2] - نفسه، ص45.

[3] - المدارس الثلاثة، المقصود بها المدارس الشرعية الثلاثة، التي أنشأتها فرنسا بالجزائر سنة 1860م، الغرض منها تكوين موظفين في السلك الديني، يعملون تحت إشراف السلطة الفرنسية كانت تدرس بها اللغة العربية، كما كان الهدف منها منافسة الزوايا و لئذا قطع الطريق أمام الطلبة العائدين من المعاهد العليا المجاورة كالزيتونة و القرويين.

وحدتها و قوتها[1] . لذلك عمدت إلى إحلال الفرنسية محل اللغة العربية، فانصبت سياسة الفرنسة في الجزائر على أهم المؤسسات التربوية ، إذ تأتي المدرسة في طليعة ذلك، فعندما تم تنظيم التعليم الابتدائي في الجزائر طبقا لمرسوم 13 فبراير 1883م الذي جعل التعليم خالصا في اللغة و المناهج و التوجيه العام، و ذلك على حد تعبير أحمد توفيق المدني: "كان العليم أيام الحكم الفرنسي استعماريا بحتا لا يعترف باللغة العربية و لا يقيم لوجودها أي حساب، فالفرنسية وحدها لغة التدريس في كل مراحل التعليم" [2] .

فمنذ بداية الاحتلال سعت فرنسا إلى أن تجعل من الفرنسية اللغة الرسمية فبالإضافة إلى تصريحات قادة الاحتلال الأوائل الهادفة إلى تحقيق هذه الغاية نجد عام 1843م في تصريح لأحد الضباط الفرنسيين معبرا علن انشغاله بمسألة اللغة في الجزائر فيقول: "كان ينبغي في بادئ الأمر التفكير في حل مشكلة اللغة قبل التفكير في التعليم لأنه توجد في الجزائر ثلاث لغات هي العربية و التركية و الفرنسية كلغة جديدة، فما هي اللغة التي ستختار ... أليس من الأجدر أن نشرع في تدريس اللغة الفرنسية" .

لقد كان لدى قادة الاحتلال قناعة تامة ان الانتصار العسكري لا يعني النصر التام على حد قول ج هاردي (George Hardi) [3] : "أن القوة تبني الإمبراطوريات لكنها ليست هي التي تضمن لها الاستمرار ... إن الرؤوس تنحني أمام المدافع في حين تضل القلوب تغذي نار الحقد و الرغبة في الانتقام ، فيجب إخضاع النفوس بعد أن تم إخضاع الأبدان، و يواصل قائلا: و من أجل إخضاع هذه النفوس لابد من أن تكون المواد العامة التي ستتخلل الدروس هي اللغة الفرنسية التي بواسطتها سنتمكن من ربط التلاميذ بفرنسا" [4] .

---

[1] - عبد الله بوخلخال، وضع اللغة العربية في الجزائر مجلة لغتنا العربية في معركة الحضارة، القاهرة، العدد السابع و الثامن عشر، ماي 1997، ص139.

[2] - سعاد سطحي ، المرجع السابق، ص 44.

[3] -جورج هاردي: مؤرخ و جغرافي متخصص في إفريقيا، ولد في 05 ماي 1884م التحق بالمدرسة العليا للأساتذة سنة 1904م و تحصل على شهادة التبريز في التاريخ و الجغرافية سنة 1907م ثم الدكتوراه في الأدب سنة 1919م شغل العديد من المناصب منها مدير التعليم بإفريقيا الغربية الفرنسية بين 1918/1912 م ثم مديرا عاما للتكوين و الفنون الجميلة و الآثار بالمغرب ما بين 1919-1920 م فعميد أكاديمية الجزائر بين 1983/1939 م توفي في ماي 1972م بعد أن ترك العديد من المؤلفات منها Les Grandes Lignes De Geographie Du Maroc, Histoire De La Colonisation Française, Les Grandes étapes de l'histoire du Maroc. ينظر: معلمة المغرب، ج22، الجمعية المغربية للتأليف و النشر و الترجمة، مطابع سلا، 2005، ص7487.

[4] - محمد عابد الجابري، التعليم في المغرب العربي دراسة تحليلية نقدية لسياسة التعليم في المغرب تونس الجزائر، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1989، ص 17.

ب - التركيز على العربية العامية:

يقصد بالعامية اللهجة المحكية أو الدارجة، و هي النمط الذي يختلف و يتميز من منطقة لأخرى، و هو النمط الذي يستخدمه العربي في حديثه اليومي و في أعماله و معاملاته و في تراثه و فلكلوره، و هو النمط الذي ينحو باتجاه التبسيط و البعد عن أي تعقيدات في الصوت و النطق و الصرف و النحو و غير ذلك مما تستدعيه قواعد اللغة الفصحى [1] .

لقد اهتم قادة الاحتلال و منظروه بالعربية العامية، حيث كانت تصريحاتهم تتم على غايات محددة، و أن هذه القناعة (أي تعليم العامية)، ترجع إلى التقرير الذي كتبه شارل سولفي عام 1846م، الذي أوصى فيه بضرورة تعليم العربية الدارجة لتوفير المترجمين و الإدارا ت لدفع فكرة التقدم و دمج الأهالي .

قد بنى المحتل سياسته اللغوية على مثل هذه التقارير و التصريحات، و على أساسها ركز على التمكين من العربية العامية في مدارس الأهالي عموما، باستثناء المتواجدة في المدن الكبرى التي سمح فيها بتدريس ما يسمونه بالعربية الكلاسيكية، لكنه بالمقابل كان يرفض تعليمها في المدارس الأوروبية و منطقة القبائل، و نستدل على ذلك بما ورد في عرض حال أعدته مجموعة من المتخصصين [2] ، تم تقديمه إلى الحاكم العام جونار 1918-1919 جاء فيه: "بخصوص تدريس العربية"، يرى البعض ضرورة حضرها و تعد لدى البعض عامل افتخار لدى المسلمين ممن يتخرجون من مدرسة الأهالي، حيث سيكونون قادرين على القراءة و الكتابة مثل أقرانهم خريجي المدارس القرآنية [3] ، و من الوسائل التي اعتمدها المحتل في تشجيع اللغة العامية الفصحى و جعلها لغة التدريس، تمت صياغة الكتب المدرسية الموجهة، و هذه عناوين بعض الكتب المدرسية و لغة المحتويات المعروفة من تأليف اوكتاف هوداس (O Houddas) [4] ، و بلقاسم بن سديرة.

[1] -محمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون، دار المعارف، مصر، 1970، ص 79.

[2] - هم رولاند ممثل مفتشية التعليم الفلاحي في مدارس الأهالي، و غانغر متصرف إداري ببلدية سيباو المختلطة، و غيبون فرنسيه محرر بالحكومة العامة، و ساباتيه نائب مدينة وهران بالبرلمان الفرنسي، و برنارد وانيار. ينظر: فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937م المنطلق السيرورة المآل، دار الخلدونية للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر 1913، ص 318.

[3] - المرجع نفسه، ص 318.

[4] - اوكتاف هوداس: ولد بلوتارفيل سنة 1840م و توفي بالجزائر سنة 1906، حل بالجزائر سنة 1863 عند استلامه لكرسي العربية في الكوليج العربي-الفرنسي، كما عمل أستاذا في ثانوية العاصمة، تولى أيضا كرسي العربية بوهران، افتتح تعليم العربية في مدرسة الآداب العليا عند إنشائها سنة 1880م، نشر عدة أعمال موجهة للتلاميذ كما ترجم تحفة ابن عاصم في الفقه المالكي، و هو العمل الذي شغله

- ج. دلفين، جامع اللطايف و كنز الخرايف يتضمن ترجمة نصوص من العربية إلى الفرنسية عنوانه بالفرنسية :

G Delphin: recueil des texte pour l'étude de l'arbre parlé.

- هوداس و دلفين، الكتاب المعرب عن كيفية مكاتب المغرب، عنوانه بالفرنسية:

Houddas et Delphin : recueil des lettres arabes manuscrites 2eme édition.

- بلقاسم بن سديرة و شارل بن سديرة، دروس مدرجة لرسائل عربية مخطوطة عنوانه بالفرنسية:

Belkacembensdira cours gradué de lettres arabes manuscrites[1].

هذه بعض النماذج للكتب التي تمت صياغتها كإجراء بيداغوجي لجعل العامية هي لغة التدريس في المدارس، و فيما يتعلق بمضامين هذه الكتب فهي تتمحور حول مواضيع تربية الأولاد و الزواج و حالة المرأة و حكايات و أحجيات و أمثال.

إن تعليم العربية الفصحى أصبح يتناقص لحساب العربية العامية، حيث أصبح تعلم العربية من أجل الحديث و التخاطب و ليس من أجل أن تكتب .

و من المؤسف أيضا هو انه إلى غاية 1938م كان تعلم اللغة العربية يسند إلى معلمين فرنسيين لا يتمتعون إلا بأبسط المعارف و التي هي غير كافية، و بالتالي كان الهدف هو إفراغ هذه اللغة من محتواها السياسي و الثقافي .

إن الإهمال للعربية لم يكن سوى مسألة إقصاء ثقافية في الجزائر الفرنسية و هو ما يؤكده رأي مدير مدرسة المعلمين لبوزريعة، الفرنسية هي التي تحل محل العربية، ليس لنا أدنى تفكير أو نية من أجل تقوية العربية.

قرابة عشر سنوات، كما ترجم أعمالا تتعلق بتاريخ المغرب العربي و السودان القديم،و بعض صحيح البخاري، ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص40.

[1] - فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص 323.

ج - المدارس البربرية:

ساق المحتل الفرنسي تبريرات مختلفة لمحاربة اللهجات في مستعمراته بإفريقيا السوداء، لكنه في المقابل عمل على تشجيع اللهجات في الجزائر، و منها اللهجة البربرية، حتى ترتقي إلى مصاف اللغة المكتوبة. فلقد كان هذا المحتل ظاهريا يبدي حرصا على ثقافة البربر و منها اللهجة البربرية، و ذلك من خلال إقامته للمدارس البربرية.

بدأت فكرة هذه المدارس على عهد دغيدون (L.H Deguidon)[1] حين خاطب الآباء البيض عام 1871م قائلا: "أنكم إذا سعيتم إلى استمالة الأهالي بواسطة التعليم و بما تسدونها إليهم من إحسان تكونون بعملكم هذا قد قدمتم خدمة جليلة لفرنسا، فليس بمقدور فرنسا أن تنجب من الأطفال ما يكفيها لتعمير الجزائر و لذلك من الضروري الاستعاضة عن ذلك بفرنسة مليونين من أبناء البربر الخاضعين لسلطتنا، واصلوا عملكم بحنكة و لكم من التأييد "[2].

إذن فالغاية من إقامة هذه المدارس كما حددها ج.هاردي حين كتب قائلا: "أن الأمر يتعلق بمدارس فرنسية بربرية تضم صغار البربر يتلقون تعليما فرنسيا محضا ... و يشمل البرنامج على دراسة تطبيقية للغة الفرنسية "[3].

و بشأن ذلك أيضا يقول المستشرق الفرنسي جودفروي دومومين (Geaudafry Domimen) [4]: "إن الفرنسية هي التي يجب أن تحل محل العربية كلغة حضارة ... و قوام السياسة البربرية هو العزل البربري عن العرب و المثابرة على تقريبهم منا من خلال التقاليد".

و يقول الجنرال ليوطي (LEAUTEY): "من الناحية اللغوية علينا أن نعمل مباشرة على الانتقال من البربرية إلى الفرنسية ... أن العربية عامل من عوامل نشر الإسلا م لأن هذه اللغة يتم تعلمها بواسطة

---

[1] - دوقين لويس هنري: جنرال فرنسي ولد في 22 نوفمبر 1809م، التحق بالمدرسة الحربية سنة 1825م تقلد عدة مهام من بينها حاكم لجزيرة المارتنيك بالمحيط الأطلسي سنة 1853م، ثم الوالي البحري لمنطقة لوريون الفرنسية سنة 1858م، ثم مدينة براست في السنة الموالية، رقي إلى مرتبة أميرال سنة 1861م، و في 29 مارس 1871م عين حاكما مدنيا على الجزائر، أعلن حالة الحصار في الجزائر بعد ثورة المقراني، اشرف على توطين سكان الالزاسواللورين الذين استفادوا من 100ألف هكتار من الأراضي بالجزائر، عوضه الجنرال شانزي بعد تقدمه في السن، توفي في 01 أكتوبر 1886م.ينظر: Narcisse Foucon, le livre d'or de l'Algérie, Tome 1 – biographiies, Callamel et Cie, Editeurs Paris, pp 283-285.

[2] - محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص109.

[3] - نفسه، ص 86.

[4] - R. Caudefray Demomines. L'eouvre française en nature d' enseignement, paris SN , 1928, p 119.

القرآن، بينما تقضي مصلحتنا أن نطور البربر خارج نطاق الإسلام" [1]. و في عام 1923م وضعت المدارس الفرنسية البربرية برنامج يلغي الاختبار الشفوي و دراسة القرآن لفائدة الفرنسية جاء في جريدة لوفيغارو (Lefigaro): "من الخطأ تدريس القرآن لبربر المغرب الذين يجهلون اللغة العربية و من الأفضل توجيههم إلى نسيان الإسلام"[2].

هكذا خطط للمدرسة البربرية لتكون مدرسة فرنسية للمعلمين، بربرية بالتلاميذ و ليس هناك أي مجال لأي شكل من أشكال تعليم العربية.

و من محاولات المحتل فيما يتعلق باللغة البربرية هو كتابتها بحروف لاتينية، و صارت تدرس بصفة رسمية منذ عام 1913م بمعهد الدراسات الشرقية بباريس [3].

و بناء على ما تقدم فإن السياسة اللغوية لم تكن جزءا من أجل الرابط العرقي و الثقافي و التاريخي لإفريقيا الشمالية بأوروبا فحسب، بل أيضا من أجل خلق فارق بين كيان عربي و آخر قبائلي.

و في هذا الإطار أيضا كانت العملية تمر عبر ترقية اللغة البربرية التي سعت فرنسا للحفاظ على لهجتها المختلفة، حتى لا تكون العربية في هذه المناطق لغة الثقافة و لسان التخاطب، حيث كانت دراسة العربية غير مشجعة بالقبائل بل محظورة في المدارس الفرنسية البربرية، و هما العنصران المحركان لهذه السياسة البربرية.

في سنة 1910م طلبت الحكومة العامة تحقيقا عن توزيع اللغة البربرية بالجزائر، استثمره قوتي (Gautier) و دوتي (Doutté)، و هما مدرسان كلفا بفرز النتائج و التعليق عليها، و لكن لحساب الدولة و الإدارة، و ليس بحثا جامعيا، و إنما مشروعا رسميا يتطلب باحثين جامعيين [4] ، و قد نتج عن التحقيق أن اللغة البربرية في طور الاندثار لصالح العربية ، و هو ما استدعى بذل مزيد من الجهود ضد التعريب.

[1] - الحسين مادي، الساسة التعليمية بالمغرب و رهانات المستقبل، منشورات مجلة علوم التربية، المغرب، 2004، ص 22

[2] - فريد حاجي، مرجع سابق، ص 346.

[3] - نفسه، ص 349.

[4] - Camille Risler , La politique Culturelle de la France en Algérie Objectifs et Limites , (1830-1962) éd , L'Harmattan , 2007 , p 218

و في 1915م أجبر القضاة و الموثقون على تقديم شهادات اللغة البربرية ، لكي يمارسوا مهنهم، و كثيرا هم الذين كانوا لا يزالون يعتقدون زمن الخرب العالمية الأولى على غرار الحاكم لوط (Luteaud) الذي صرح قائلا: "أن الأهلي المعرب يأخذ وعيه أكثر بذهنيته الإسلامية و بالمسافة التي تفصله عنا"[1] .

و لهذا كانت الإدارة الاستعمارية مصرة أكثر على ضرورة مواصلة سياسة استئصال اللغة العربية سيما بين سكان القبائل.

غير أن المقصود من وراء هذا الاهتمام المزعوم ليس تطوير البربرية و جعلها أداة لغوية مقتدرة، و إنما اتخذت كخطوة تكتيكية لعزل و محاصرة العربية، مما يفسح المجال لإحلال الفرنسية محل اللغتين (العربية و البربرية)، و هو ما عبر عنه ج ديموميس [2] في كتابه المهمة الفرنسية فيمل يخص التعليم في المغرب الصادر عام 1928م حيث يقول: "يجب أن تقوم الفرنسية لا البربرية مقام اللغة العربية كلغة مشتركة و كلغة للمدنية".

د - محاولات النهوض باللغة العربية:

إلى جانب هذه السياسة العدائية للغة العربية، فقد انتهجت الإدارة الاستعمارية أسلوبا آخر يبدوا في ظاهره أنه في مصلحة الأهالي و العربية، غير أن ذلك لم يكن سوى ذر الرماد في العيون، لأنه حتى و إن ظهر صدق نوايا بعض المسؤولين في الإدارة فإن موقف المعمرين سيحول دون تحقيق هذه الغايات .

و من محاولا الرفع باللغة العربية التعديلات التي أدخلها شارل جونار [3] بداية القرن العشرين (1900-1901) (1910-1911) (1918-1919) حيث حاول أن يرفع من مستوى اللغة العربية و إعادة تنظيم المدارس الإسلامية الحكومية، و أسندت مسؤوليتها للمفتشين لتنظيمها، و أسست بعض

---

[1] - Ibid, p 219

[2] -جودوفري دوموميس: 1852- 1957 مستشرق فرنسي من أهم ما ترجمه تاريخ بني الأحمر 636- 897 – 1221 – 1482 رحلة ابن جبير، مقدمة كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة مسلك الأمصار للعمري عام 1917 و كتاب مائة ألف ليلة عام 1911 . انظر: فريد حاجي: مرجع سابق، ص 349.

[3] - شارل جونار: رجل ساسي و دبلوماسي فرنسي عاش بين 1857 و 1927 عين سنة 1881م للعمل بمكتب الحاكم العام بالجزائر، أصبح سيناتورا سنة 1894م تولى السيد جونار شؤون الجزائر كحاكم عام ثلاث مرات اولها (1900-1901) و الثانية و كانت أهم و أطول فترة (1903-1911) و الثالثة (1918-1919) و كان أيضا من أعضاء لجنة مجلس الشيوخ، كما تقلد منصب وزير الخارجية سنة 1911 و من أنصار فكرة الجزائر المستعمرة لا المندمجة في فرنسا منح قبل وفاته كرسي الأكاديمية الفرنسية. ينظر: jonnart /afn.org - encyclopédie –auguste .

المكاتب في المدن الكبر و هي التي تسهل عملية التكوين و تخريج مثقفين يستطيعون استيعاب هذه الإصلاحات المختلف و إفراغ الزوايا و الطرق الصوفية من مضمونها، و إضعاف تأثيرها على الناس.

و استمر تدريس العربية بهذه المدارس بمعدل ساعتين و نصف أسبوعيا، و ذلك تبعا للبرنامج الجديد لعام 1898م رغم معارضة أطراف أخرى للإدارة الاستعمارية على تقديم هذه اللغة للجزائريين، و قامت بمحاربتها لأنها رأت فيها محاولات لتجديد التعليم الإسلامي، و حرصت على إبقاء هذا التعليم في الحضيض [1] ، و لم تدرس اللغة العربية الكلاسيكية في الزوايا و المدارس الحرة، و هو ما نفر التلاميذ منها للالتحاق بالمدارس خارج الجزائر سواء في الزيتونة او القرويين، و ذلك قصد الحصول على تعليم جيد و مفيد.

منذ 1905م بدأ العمل بتوظيف أساتذة متخرجين من المدارس الشرعية الحكومية، و اشترط في الأساتذة الفرنسيون شهادة البكالوريا و دبلوم اللغة العربية حسب مرسوم 14 جويلية 1849م، الذي نص على إجبارية العربية لبعض الموظفين الأوروبيين في المكاتب العربية و الذين لهم احتكاك مستمر مع الأهالي

و من هنا جاء رأي مدير مدرسة تلمسان الفريد بل (Alfred Bel): "بالنسبة لهذه الإجراءات قادرة على تكوين نخبة مثقفة من هؤلاء المتخرجين من المدارس الإسلامية الجكومية أي طبقة قيادية بعيدة عن كل تفكير ارستقراطي أو أي أحكام شبه دينية حمقاء" [2] .

و في سنة 1937م انعقدت في باريس ندوة حول شمال إفريقيا تخص مسألة تعليم العربية كلغة إجبارية في شمال إفريقيا تمخض عنها أن ترقية العربية وسط الأوروبيين بالجزائر كانت الغاية منها تحسين فعالية الإدارة الاستعمارية و حتى يتاح لها المزيد من الاحتكاك مع الأهالي [3] .

كما صدرت في سنة 1938م مذكرة تخص توسيع اللغات الأهلية وسط الموظفين و مختلف عناصر السكان الأوربيين تؤكد الإرادة في تطوير اللغة العربية داخل الإدارة الفرنسية [4] ، حتى أن الموظفين الأوربيين كانوا يشجعون عبر منحهم علاوات تتراوح بين 200 و 400 فرنك من أجل اكتساب اللغتين العربية و البربرية .

[1] - عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة و النشر، 2010، ص224.

[2] - Charles Robert Ageron. Les Algériens Musulmans et la France 1871-1919 tome 1, Puf , 1968, p 325.

[3] - Camille Risler, Op, cit, p 106.

[4] - ibidem .

و لكن يجب أن نفهم جليا أن هذا التطور النوعي في تعليم العربية للأوربيين و الحرص لى اجباريتها في المدارس الفرنسية لم يكن من أجل النهوض باللغة العربية و إعادة الاعتبار لها ، و إنما كانت الغاية من ذلك تحقيق مصالح استعمارية محضة، و هي فهم المجتمع الجزائري أكثر و الاحتكاك به و تهيئته لإخضاعه أكثر لسياسة المستعمر.

لأنه حتى عندما صدر القانون الخاص بالجزائر في 20 سبتمبر 1947م و الذي خصت إحدى مواده جعل اللغة العربية رسمية إلى جانب الفرنسية فإن ذلك ظل حبر على الورق، خاصة إذا علمنا أن موقف المعمرين كان واضحا من اللغة العربية، أضف إلى ذلك أن تطبيق بنود القانون الخاص كان مرهون بموافقة الجمعية العامة المتكونة أساسا في غالبية أعضاءها من المعمرين ، حتى و إن وجد فيها أعضاء من الجزائريين فإنهم كانوا موالين للإدارة الاستعمارية.

2 - سياسة فرنسا اتجاه التاريخ العربي الإسلامي:

حاول الاستعمار الفرنسي اقتلاع تاريخ الأمة من جذوره و ذلك عن طريق ربطه بمسار التاريخ الأوروبي موظفا كل ما توفر له من وسائل لتحقيق الهدف ضمن مشروع استعماري شامل، و حيث يقوم التاريخ مقام الأساس الذي يشد بنيان الأمة و يوحد عناصرها، لذا بنى الاستعمار جهوده على خلخلة هذا الأساس، و من ثم تفكيك وحدة المجتمع [1] .

لقد استخدم الاستعمار عنصر التاريخ الجزائري و العربي الإسلامي من خلال تأصيله و العودة به إلى العالم الروماني ليكون الاستعمار الفرنسي الوريث الشرعي لهذا التاريخ، و أدرك المحتل أبعاد التراث الإسلامي، خاصة ما يتصل بالتاريخ، كما أدرك فهم هذا التراث لإرساء قواعد الاستعمار على أسس متينة، فأخذ يشجع ترجمة بعض الكتب العربية إلى الفرنسية على غرار ما فعل دو سالان (De Salon) عندما حقق القسم الخاص ببلاد المغرب من كتاب العبر لابن خلدون، ثم ترجم و نشر كتاب المغرب في ذكر بلاد المغرب للبكري و النصوص التي تتعلق بالمغرب في الكامل لابن الأثير [2] . فبذلك نجد أن المؤرخين الغربيين عمدوا إلى محاولة اقتلاع شجرة التاريخ من جذورها، فاعتبروا الفتح الإسلامي غزوا و هو الذي أدخل بلاد المغرب بما فيها الجزائر في ظلام دامس استمر حتى أحضرت فرنسا الحضارة و الازدهار و الحريات، و كلها خيرات حسبهم لم يسبق للشعب الجزائري أن عرفها.

[1] - إسماعيل سامعي، مجهود الاستعمار في تأصيل تاريخ الجزائر خلفية لمشروع الاستلاب الثقافي، المعيار، العدد10،سبتمبر 2005،ص 91.

[2] - إسماعيل العرب ، موقف مساهمة المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر ، مجلة الأصالة ، السنة الثالثة ، العدد 14 – 15 عام 1973 ، ص189

أ - الاهتمام بتاريخ الجزائر:

في الحقيقة بدأ هذا الاهتمام منذ أن تم إنزال الجيوش الفرنسية في سيدي فرج حيث تم إصدار أول صحيفة (بريد الجزائر Estafette D'Alger)، فبقد بدأ اهتمام هذه الصحيفة بتقاليد السكان و أعمالهم الخاصة، و وعدت الصحيفة في افتتاحيتها بأنها ستجمع كل الوثائق ذات القيمة الكبيرة و المتعلقة بالإحصائيات و الجيولوجيا و إمكانيات الجزائر الخاضعة لجيس المستعمر ، و على هذا النحو سارت باقي الصحف خاصة صحيفة المبشر التي اهتمت بنشر المقالات العلمية و المعرفية، لاسيما في التاريخ و الجغرافيا، و التي كان القصد منها غزو نفوس الجزائريين و اختراق عقولهم [1] ، كما اهتم العسكريون بالآثار التاريخية لاسيما التي تعود لفترة العهد الروماني و الاستيلاء على الوثائق و المخطوطات.

ب -التشكيك في الأحداث التاريخية المصيرية في تاريخ الجزائر:

بدأت هذه السياسة بالتشكيك في أخبار الكتاب العرب عن المغرب فشككوا في أخبار الفتوحات الإسلامية و وصول المسلمين بقيادة عقبة بن نافع إلى المحيط الأطلسي، كما شككوا في انتماء السكان (الجنس البربري) حيث ذكروا أن هؤلاء السكان لا يشكلون جنسا بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة، بل مركبا جنسيا، و لهم لغة من أصل مجهول و أن سكان الجزائر عبارة عن جماعات غير قادرة تربطها أصلية واحدة تتمثل في نفوذ الرئيس و قوته [2]، كما اعتبر المؤرخين الاستعماريين أن فترة الحكم الإسلامي للمنطقة هي فترة ظلام دامس حسب رأي بعضهم و منهم دو سالان (De Salon) و استيفان غزال (Steven Gzel).

إن عملية التشكيك هذه تأتي في سياق منهج التهديم ثم إعادة البناء، أي تهديم تاريخ الجزائر ثم إعادة بنائه وفق مسار التاريخ الأوروبي .

عمدت الدراسات التي قام بها الأساتذة الفرنسيين إلى تشويه تاريخ الجزائر الإسلامي، فلقد أكثروا في كتاباتهم من استعمال عبارات الإسلام الجزائري، و الإسلام الجزائري الجديد، و هم يقصدون بذلك أن الجزائريين لم يعتنقوا الإسلام عن وعي و لم يمارسوه عن عقيدة، و إنما هو عندهم كنوع من

[1] - محمد ناصر، الصفحة العربية الجزائرية من 1847 – 1939 الجزائر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1980، ص 151.

[2] - شارل اندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، تر: المنجي سليم و آخرون، الدار التونسية و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976، ص22.

التقاليد الموروثة و الفولكلور الذي يظهر في المناسبات، و يتجلى هذا الموقف من نعت الفتح الإسلامي العربي بالغزو العربي و التركيز على أحداث تاريخية خاصة، كحادثة الكاهنة مع حسان بن النعمان و حادثة كسيلة مع عقبة بن نافع، و عندما تحدثوا عن هجرة بني هلال تحدثوا عنها كغارة ذئاب حسب تعبير ستيفان غزال. و قد تأسف هذا الأخير أن الرومان أخطئوا عندما لم يحولوا السكان في شمال إفريقيا إلى مسيحيين لاتين، كما يقلل هؤلاء من مقاومة الأهالي للاحتلال، حيث يتهمون هذه المقاومة بأنها لا تعود إلى الروح الوطنية و النفور من الحكم الأجنبي، و إنما لضيق الأفق و التعصب الديني [1] ، و قد أطلق إيميل قوتي اسم القرون الغامضة على عهد الإمارات الإسلامية في الجزائر و المغرب من الفتح العربي حتى مجيء العثمانيين.

كما أن الكتابات التي الفرنسيون عن الأمير عبد القادر كثيرة و لكنها لا تخرج عن الحط من دوره الوطني، و جعله شخصا متعصبا دينيا في البداية و صديقا لفرنسا في النهاية، و يلخص هذا الموقف كتاب بول أزان (Paul Azane) المسمى (الأمير عبد القادر من التعصب الإسلامي إلى القومية الفرنسية).

ج - توظيف التاريخ لخدمة الاستعمار:

قد انتهجت إدارة الاحتلال في الجزائر أسلوب استخدام التاريخ لخدمة المصالح الاستعمارية، و كمثال على ذلك نذكر تلك الدراسات التي صدرت بمناسبة الذكرى المئوية للاحتلال، منها ما قدمه هنري ماسي (Henri Massy)، حول الدراسات العربية في الجزائر (1830-1930) و كتاب جورج ايفر الذي حمل عنوان "التاريخ و مؤرخو الجزائر"، وقد اعترف فيه بأن الكتابات المتعلقة بالجزائر التي تحرت الصدق و الموضوعية قليلة و سطحية [2] .

هكذا وظف الاستعمار تشويه التاريخ و تزييف الحقائق في خدمة مصالحه متمثلة في القضاء قدر الإمكان على الوجود الحضاري للشعب الجزائري، و ترسيخ وجوده في هذه المستعمرة ترسيخا مطلقا بمختلف الأبعاد الحضارية و التاريخية و الثقافية.

لقد بذل المؤرخون الفرنسيون جهودا كبيرة في التلاعب بحقائق التاريخ الجزائري، و هم ينقبون لمعرفة طبيعة الشعب الجزائري و كل ما يتصل به، و ذلك حرصا منهم على أن قوة السلاح لا تضمن له

[1] - الفريد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، منذ الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 196.

[2] - جيلالي بلوفة عبد القادر، قيمة ووزن الكتابة التاريخية في المشروع الاستعماري الفرنسي الوسائل و النتائج، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص115.

استعمارا تاما مثل ما كان الأمر بالنسبة للغة العربية، إذا لم يؤد بخلفية معرفية دقيقة عن البلد الذي بصدد استعماره، و سياسة التشويه هذه إنما جاءت حرصا منهم على التقيد الدقيق لمشروع الاستلاب الفكري و الثقافي، و النهب المادي، و قد أثمر ذلك استلاب بعض العقول الجزائرية التي انبهرت بالثقافة الفرنسية، و صدقت بسذاجة ادعاءاتها [1].

هكذا قبلت الحقائق و منع تدريس التاريخ الفعلي للجزائريين في المدارس على سبيل تجهيلهم و قطع صلتهم بماضيهم العريق، فسياسة التجهيل التي انتهجتها فرنسا في استعمارها للجزائريين لم تقتصر فقط على حرمانهم من فقه اللغة العربية، بل أيضا من التاريخ الجزائري الأصيل.

و في سياق إنجاح المخطط الاستعماري بشأن الثقافة الجزائرية ساهم العديد من الضباط العسكريين و لفيف من رجال الدين و الكتاب و الباحثين الجامعيين بالعديد من الدراسات و التقارير و الاقتراحات و التوجيهات لتكون مرجعا للإدارة الفرنسية في تنفيذ خطتها في هذا المجال [2].

و اعتمادا على ما قدمه هؤلاء توفرت للمحتل معطيات عمد في ضوئها إلى تفعيل مخططه و تحقيقه على أرض الواقع، و هي معطيات ركزت أكثر شيء على معرفة واقع المجتمع الجزائري و مدى تمسكه بمرجعياته الحضارية و موروثه العقائدي و اللغوي، و كذا عاداته و تقاليده، فمعرفة هذا الواقع بمختلف حيثياته ستفتح بلا شك قنوات لتحقيق المخطط الثقافي الاستعماري في الجزائر.

لقد ترك هؤلاء الضباط آثارا تتعلق خاصة ببناء تاريخ استعماري و تأسيس مدرسة في هذا الميدان ، لنشر و بث الأفكار الاستعمارية ، و حمل القراء و خاصة الباحثين على التسليم و الاقتداء بها [3] ، وكان من أخطر هذه الآثار محاولة تشكيل الفكر الأهلي حسب الحضور الاستعماري، بعبارة أخرى تحقيق ما يسمى بالاستعمار الفكري [4].

و قد تمكنت السياسة الثقافية التي انتهجتها فرنسا أن تجد لها أنصارا نظرا للتأثير الذي مارسته على بعض الأفراد خاصة بعض الجزائريين المتفرنسين، بحكم التعليم الذي تلقوه، فراحوا يطالبون بالإدماج في مجتمع موحد، و عمدت هذه الأبحاث أيضا إلى تحليل ذهنية الإنسان الجزائري، و قد

[1] - اسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص 96.

[2] - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات و آفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص 71.

[3] - صالح فركوس، تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال "المراحل الكبرى" دار العلوم للنشر و التوزيع، عنابة 2005، ص380.

[4] - نفسه، ص370.

سخرت البحوث الأنثروبولوجية في تسهيل الفتوحات الاستعمارية و توجيهها و إحياءها بمعلومات ميدانية تسهل عمليات الاختراق الجغرافي و الاحتواء الثقافي [1] ، وذلك لترسيخ قدم المحتل الفرنسي أكثر فأكثر على أرض هذه المستعمرة.

3 - السياسة التعليمية وسيلة لتنفيذ السياسة الثقافية الاستعمارية:

لم يرق التعليم خلال هذه الفترة إلى مستوى طموحات أبناء الجزائريين، و شهد الفرنسيون أن الأهالي كانوا يطالبون بالتعليم و يعرفون من جهة أخرى أن هذا التعليم لم يمنح لكل الجزائريين، فيقول فيوليت (Viollete) في هذا الشأن: "يريد الأهالي المدرسة الابتدائية و يجب أن نعترف أننا لم نمنح لهم تعليم بالقدر الكافي"[2] .

لم تتعد نسبة التعليم إلى غاية 1930م 10%، و هي بالطبع نسبة ضعيفة إذا ما قورنت بعدد السكان من الأهالي البالغ آنذاك نحو ثمانية ملايين نسمة، لم يكن التلاميذ من أبناء الأهالي يعانون قلة الإمكانيات للتمدرس فحسب، بل إنهم كانوا يعانون من المضايقات و الإهانة داخل المؤسسة التربوية، ومن الطبيعي أن تصرفات كهذه تترك أثرها في نفوس التلاميذ، مما ينعكس سلبا عليهم فلا يستطيع التلميذ المضايق أن يفجر طاقاته العلمية، بل ينطوي على نفسه و ينعزل عن المجتمع، بل و يضطر إلى ترك المدرسة نهائيا. و نورد هنا شهادة لأحد المعلمين المتخرجين من مدرسة المعلمين ببوزريعة دفعة 1922-1925م حيث يقول: "أن أسوء ذكرياتي في مدرسة المعلمين هي عندما نذهب إلى المطعم ، و التميز الذي كنا نعامل به أمام الطلبة الأوربيون، لقد كنا نوضع في جهة من المطعم، و نأكل في صحون من معدن بينما كان الأوربيون يأكلون في صحون من خزف، و كن نجلس على مقاعد مشتركة من خشب، بينما كان الأوربيون يجلسون لكل واحد كرسيه"[3] .

4 - توظيف الإعلام كوسيلة ثقافية:

كان قادة الاستعمار و منظروه يدركون غاية الإدراك ما يمكن أن تحققه وسائل الإعلام لمصلحة المشروع الثقافي الاستعماري، لذلك لم يتوان هؤلاء في استخدام الصحافة و الإذاعة باعتبارهما الوسيلتين الأكثر و الأسرع تأثيرا على أكبر عدد من المتلقّين.

[1] - محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي، دراسة في الذهنيات و البنيات و المالات، دار ابن النديم، الجزائر، 2009، ص 213.

[2] - Violette Maurice , L'Algérie Vivra-T'elle , Paris, 1931, p 258.

[3] - Fanny Colonna, instituteurs Algeriéns, 1883-1939, OPU, Alger, 1975, p50 .

أ - الصحافة الاستعمارية:

كانت فرنسا حريصة على نشر الدعاية لحملتها على الجزائر منذ بداية الاحتلال، حيث صاحب الحملة أول صحيفة أراد من خلالها دبرمون الإشادة بالنصر الذي حققه، و للرد على المعارضة التي استهدفت حكومة شارل العاشر، و قد أطلق جون ميرل على هذه الجريدة اسم (Estafette D'Alger البريد الجزائري) و عنوانها الفرعي "جريدة جيش الحملة و البحر المتوسط "، و قد صدر أول عدد منها في 25-06-1830م و عددها الثاني و الأخير في 29-06-1830م [1].

و قد حدد ديبرمون أهداف الصحيفة في رسالة وجهها إلى رئيس الوزراء بولينياك [2] ، قائلا:: "جريدتنا لن تصدر في طولون أو مرسيليا أو باريس و لكنها ستصدر و تطبع في إفريقيا و ترسل إلى قرائها في ميدان القتال و بذلك ستحمل الحقائق المحلية التي ستمنحها طابعا خاصا"[3] .

استلزم أمر تنفيذ المشروع الاستيطاني في الجزائر من قبل المعمرين على الصحافة المكتوبة كوسيلة ذات تأثير على الرأي العام الفرنسي، من أجل تضليله و للنيل من معنويات الجزائريين و التشكيك في قدراتهم، كما اعتمدوا على الأقلام المأجورة الحاملة للحقد و الكراهية و العنصرية للجزائريين أمثال الكاتب موريس اجان (Maurice Ajan)، الذي دافع عن الكولون في مقالاته و حمل كتاب الموسم (Problémes Algeriens مشكلات جزائرية) انتقادات لاذعة للشعب الجزائري الذي وصفه بالجاهل تارة و بالمتعصب أحيانا أخرى، و لا يطع إلا باستعمال القوة، و هكذا أهين الشعب على أرضه، و لم يقدر إلا على التمني في انتظار الفرج.

✓ **ظهور الصحافة الحكومية:**

من الوجهة التاريخية سبقت الصحافة الحكومية صحافة المعمرين، و لكن بظهور هذه الأخيرة أصبح دور الصحافة مقتصرا على نشر القوانين و القرارات الرسمية، لقد أصدرت سلطات الاحتلال طيلة الفترة الاستعمارية العديد من الجرائد الرسمية منها المرشد الجزائري (moniteur Algérien)[4] ، و

[1] - Gabriel Esquer, Le début de la presse algériennne, Jean Toussait Marl et L'Estafette de sidi Fredj, revue africaine, 1929, - bulletin de la société historique, imp, la pypolitt, ros, et jul carbonal, in, Alger p 26.

[2] - بولينياك (Jules-Armand Polignac) 1780-1847م، هو من تولى تنظيم الحملة العسكرية على الجزائر، حكمت عليه حكومة ثورة جويلية بالسجن مدى الحياة، ثم أفرج عنه سنة 1836م.

[3] - عبد الله بوقرن، المعيار المرجع السابق، ص 316.

[4] - ظهرت هذه الصحيفة في 27جانفي1832 بعد اختفاء الاستافيت بسنتين و قد كانت مبادرة من البارون بيشون مستشار الدولة، و جعل مهمتها نشر القوانين و الأوامر الرسمية و كل ما يتعلق بالجزائر، استمرت في الصدور إلى غاية 1858م حيث منحت في عهد وزارة

جريدة المبشر ، إلى جانب ذلك صدرت صحف أخرى مثل "الصدى" في جانفي 1876م، و جريدة المغرب في 1903م، التي دافعت عن موقف الحكومة الرسمية ، كما ساهمت في تشجيع الاستيطان من جهة و تهدئة الأهالي من جهة أخرى[1] .

✓ **ظهور صحف المعمرين:**

سمح الماريشال فالي (Valée) في 16 ماي 1839م بإصدار الأرشيف الجزائري الصغير بدعم من الغرفة التجارية الجزائرية، و قد سمح ذلك بظهور جريدة الأخبار التي تعتبر أطول الصحف عمرا، و التي مكنها توجهها و دعمها لموقف الحكومة من أن تعمر طويلا، و رغم اسمها فإنها لم تمت بأي صلة للعربية سواءا من حيث الشكل أو المضمون، و قد مثلت هذه الصحافة لسان حال فئة المعمرين و المدافع عن مصالحها، فلقد كانت صحافة استعمارية قلبا و قالبا.

احتكر الكولون الصحافة و استمر ذلك إلى مطلع القرن العشرين، فعلى المستوى الرسمي كانت هناك صحيفتان حكوميتان فقط ، أنشئتا و وجهتا من الإدارة الاستعمارية في الجزائر ، الأولى هي الأخبار و هي صحيفة أسبوعية بالفرنسية، أسست سنة 1839م، و استمرت حتى عام 1934م، و في سنة 1904م أصبحت تصدر باللسانين، ستة صفحات بالفرنسية و صفحتان بالعربية ، أما الصحيفة الحكومية الثانية فهي المبشر التي تأسست سنة 1847م و كانت تصدر بالعربية و الفرنسية [2]

و خلال فترة ما بين الحربين أصبح حظر الصحافة العربية ضاغطا أكثر، ففي عرض قدمه الحاكم العام إلى لجنة إفريقيا الفرنسية، طرح فيه أسباب تخوفه قائلا:"في مواجهة أوراق كهذه كنا مسلحين على نحو سيء و حسن في نفس الوقت، بمعنى أنه يمكنني أن اقترح على الوزارة حظرها و لكن هذا يتطلب بعض الوقت ... ومن جهة أخرى فإن الصحيفة في حالة حظرها تصدر من جديد و على يد نفس الأفراد ، و العنوان هو الذي يتغير، و لأن هذه الصحافة تشعر ببعض الحرج من أشكال الحظر

الجزائر المستعمرات، ثم عادت إلى الصدور في 1861، لعبت دورا بارزا في الدفاع عن الوجود الاستعماري في الجزائر. ينظر: الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج3، ص 14.

[1] - نفسه.

[2] - أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983،ص 139.

هذه فقد أصبحت تستعمل الآن إجراء الصدور باللغة الفرنسية، و على هذا فنحن مجردون من الأسلحة تماما"[1].

ب -الإذاعة:

ظهرت الإذاعة في الجزائر منذ منتصف العشرينات من القرن العشرين عن طريق مبادرات فردية لبعض المستوطنين الفرنسيين، ففي سنة 1925م قام أحد الفرنسيين بإنشاء محطة إرسال على الموجة المتوسطة، لم تتعدى قوتها 100 وات ثم ارتفعت إلى 600 وات سنة 1926م [2].

و بمناسبة الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر أنتجت أول محطة حقيقية بقوة 12 كيلو واط على الموجة المتوسطة، و في جويلية من عام 1939م أصدرت سلطات الاحتلال مرسوما لهيكلة البث الإذاعي الفرنسي الرسمي[3]، و في سنة 1940م أقيمت محطتان لإرسال في مدينة قسنطينة واحدة بقوة 600 واط و الثانية بقوة 250 واط، و كانت المحطة الأولى تذيع برامج باللغة الفرنسية و الثانية باللغة العربية، كما أقيمت محطة في وهران بقوة 600 واط. و في سنة 1942م افتتحت محطة أخرى بمدينة الجزائر بقوة 500 واط، و في 1979م تم أيضا افتتاح محطة جديدة بوهران بقوة 2580 واط، ثم عمدت سلطات الاحتلال إلى تطوير البث الإذاعي و مد شبكته عبر أنحاء الجزائر، بإنشاء محطة بعنابة في سنة 1945م، و مع نهاية الحرب العالمية الثانية بذلت سلطات الاحتلال مجهودات لتغطية أكبر جزء من الجزائر بشبكات الراديو، عندما أنشأت محطة إرسال بتلمسان سنة 1946م، و ما بين 1947 و 1951م أصبح مركز البث الإذاعي بمدينة الجزائر الموجود بالكاليتوس مزودا بستة أجهزة إرسال قوة كل منها 20 كيلو واط [4] ، كما شهدت منطقة عين الحمام بالقبائل مركز بث بقوة 5 كيلو واط على الموجة المتوسطة.

لكي يحافظ الاستعمار على سيطرته الدائمة على شعوب المستعمرات لم يستعمل فقط الأسلوب العسكري، فقد لجأ أيضا إلى الاستعانة بأخطر أسلوب الذي يعرف بالحرب النفسية، هذا الأسلوب الذي يعتمد على وسائل الإعلام للترويج و الدعاية ، و كانت هذه الدعاية منها ما يحمل طابع التهديد و روح القمع، و منها ما يعمل على استمالة عناصر أهلية و عملية قصد تهدئة الأوضاع، حتى تسير الأمور

[1] - ANOM, 3 CAB , 84, Question Indigène

[2] - فضيل دليو، مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ص 136

[3] - فضيل دليو، الرجع السابق، ص136.

[4] - خليل صابات، وصائل الاتصال نشأتها و تطورها، ط 6، القاهرة، المكتبة الانجلو-مصرية، 1990،ص 136

للصالح المستعمر [1] ، مثلما سيحدث أثناء حرب التحرير، تجند فرنسا إلى جانب قوتها العسكرية الإعلام، و كانت الإذاعة واحدة من أكبر تلك الأبواق للقضاء على الثورة، فقد كانت سلطات الاحتلال تهدد الجزائريين عبر الإذاعة من مغبة التمرد على فرنسا و تذكرهم بأن فرنسا لا تقهر و أنها لا تفرط أبدا في كون الجزائر فرنسية [2] .

من جهة أخرى كانت الإذاعة تذكر المعمرين بعدم نسيان ثقافتهم و تعمل في نفس الوقت على إحداث ضغط ثقافي على المجتمع الخاضع [3] .

انطلاقا مما سبق كانت الإذاعة عبارة عن منبر يدافع المعمرين من خلاله عم مصالحهم و وجهات نظرهم، و أصبحت بذلك وسيلة فعالة في يد الاستعمار يمرر من خلالها ادعاءاته الكاذبة للرأي العام الداخلي و الخارجي [4] .

كما يمكننا أن نستنتج مدى الأهمية التي كانت توليها السلطات الاستعمارية للإذاعة في الجزائر، بتوفير كل الإمكانيات المادية و البشرية و الوسائل النفسية، حتى يتسنى لها الانتشار و تتبع برامجها من قبل المعمرين و الأهالي.

5 - توظيف الفن في تنفيذ السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر:

عملا بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، لم تتوان سلطات الاحتلال في توظيف الفنون لتمرير مشروعها الثقافي الاستعماري، و لضرب مقومات الشخصية الوطنية للشعب الجزائري، فاستغلت لذلك المسرح و السينما.

أ - المسرح:

[1] - حامد ربيع، الحرب النفسية في المنطقة العربية، ط1، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1974، ص37.

[2] - لزهر بديدة، موقف لادبياش دي كوستونتين من اندلاع الثورة، رسالة ماجيستير في التاريخ، 1995، ص 85.

[3] - فرانز فانون، سوسيولوجية الثورة، تر: فردوغان قرفوط، ط1، الطليعة، بيروت، 1970، ص 63.

[4] - زبير سيف الإسلام، صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1988، ص 70.

للمسرح دور كبير في نشر الوعي بين الشعوب، فهو الوسيلة الأكبر للوصول إلى عقول المشاهدين و قلوبهم، و قد استعمله الكتاب و المسرحيون بذكاء إبان الاحتلال، لقد حاول الاستعمار في الجزائر قطع الصلة بين الجزائريين و تاريخهم الحاضر و التليد، حيث كانت محاولات لطمس الهوية و التاريخ العربي الإسلامي.

فلقد كان الاستعمار يهدف إلى تفتيت كل قيم المجتمع الجزائري، و انطلاقا من هذه الأوضاع عزز الاستعمار الفرنسي قوته العسكرية في الجزائر، و جلب معه فرقا مسرحية فرنسية قدمت عروضها الفنية في بداية الأمر للجنود الفرنسيين في الثكنات العسكرية و في قصور الدايات قدمت عروضا من المسرحيات اليونانية، و لقد عملت الفرق المسرحية التي جلبها الاستعمار على تقديم عروض خاصة لهؤلاء الجنود لإقناعهم بمهامهم العسكرية، و شد بأسهم و لإثارة حماسهم و رفع معنويات الجيش الفرنسي المنهار أمام المقاومة الشعبية المتواصلة.

و الواقع أن الفرنسيين كانوا يدركون أهمية المسرح و الدور الذي يمكن أن يلعبه في نفوس الجنود، لذلك نجد الجنرال كلوزيل (Closel) كثير الاهتمام بإنشاء مسرح فرنسي في الجزائر، و ذلك منذ الأيام الأولى للاحتلال [1] ، و أصدر مرسوما في 12 نوفمبر 1830م ينص على ضرورة إنشاء مسرح فرنسي بالعاصمة غير أن إنشاءه تأخر إلى غاية 1850، أي بعد ثلاث سنوات من القضاء على مقامة الأمير عبد القادر، و استغرق بناء هذا المسرح إلى غاية سنة 1853م، حيث افتتح في 19 سبتمبر 1953م بعرض درامي من تأليف أحد الضباط في الجيش الفرنسي بعنوان (L'Algérie)، تضمنت أحداث المسرحية عملية الاستيلاء على الجزائر و تمكن فرنسا من بسط يدها عليها.

و هكذا ظلت كل المسرحيات اللاحقة التي تتابع عرضها في هذه البناية موقوفة على الجنود الفرنسيين، ثم توسعت بعد ذلك حيث أصبحت العروض تقدم للمتفرجين الأوربيين الذين هاجروا إلى الجزائر، و كانت العروض الموجهة لهؤلاء المهاجرين عبارة عن تشجيع لهم على الانسجام مع واقعهم الجديد في الجزائر، و محاولة الإدارة الفرنسية توفير جو شبيه بالأجواء الأوروبية، كما أنها دعاية لاستقبال المزيد من الأوروبيين [2] ، و هذا أمر تدل عليه الزيارات المتعددة التي قام بها أشهر رجال الأدب

[1] - محمد خير الدين فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص233.

[2] - فرحات عباس، ليل الاستعمار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص95.

و الفن الفرنسيين للجزائر، و ما قاموا به من كتابة الرسائل لوصف بناية المسرح و العروض المقدمة فيها، و لعل أبرز هذه الزيارات زيارة دوماس الابن سنة 1864م [1].

كانت السلطات الفرنسية ترى في المسرح أداة ثقافية في متناول أكبر عدد ممكن، لذلك دعمته، فخلال الحرب العالمية الثانية و تحديدا سنة 1944م، شجعت الحكومة العامة تظاهرات كثيرة له و اقترحت إعانة مالية لصالح فرقة لوي جوفي (Louis Jouvet).

✓ **موقف الاستعمار من المسرح الوطني:**

لقد تابع الاستعمار و لاحق مظاهر الفن الجزائري خاصة عندما ظهر بعض الجزائريين من مطلع القرن العشرين ممن تذوقوا الفن المسرحي و استأنسوا به، فحاولت فئة منهم تكوين مسرح كلاسيكي على غرار ما شاهدوه في فرنسا أو في المسرحيات الفرنسية بالجزائر، و كان هؤلاء يجوبون القرى و المداشر لتقديم ما عندهم.

و لأن السلطات الفرنسية كانت تتابع المشتغلين بها و تعاقبهم بالسجن و الغرامات المالية، مما أدى إلى إضعاف هذه الفرق و عزلها عن هويتها، و مع ذلك لم تنقطع هذه الفنون عن جمهورها بشكل كلي وإنما ظلت قائمة في تحد كبير، و لعل مسرحيات علالو و باش تارزي منذ 1925 لدليل على تطور المسرح الجزائري و الذي لم يرض السلطات الاستعمارية.

و الواقع أن هذا السلوك الاستعماري لم يتوقف عند المسرح، و إنما استهدف كل الروافد الفكرية و الثقافية التي تعزز الوجود الثقافي للشعب الجزائري، لذلك نشطت الثقافة الفرنسية التي سعت إليها فرنسا بدلا عن الثقافة الجزائرية المحلية من البداية [2].

لم يسلم المسرح الجزائري من سياسة القمع الاستعماري التي كانت مسلطة على الشعب الجزائري، و ذلك منذ المراحل الأولى لتأسيسه، حيث أن التوجه الوطني المعادي للاستعمار الذي طبع عروض مسرح الكراكوز [3] جعل الإدارة الاستعمارية تقدم عن منعها.

[1] - نفسه، ص 97.

[2] - أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ و التطبيق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1980-1945، ص155.

[3] - درار أنيسة بركات، أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 193.

كان تدخل الإدارة الاستعمارية يتم عن طريق منع العروض المسرحية، كما هو الشأن لمسرحية الخداعين التي منع عرضها بمدينة تيارت يوم 25 مارس 1935م، و مسرحية في سبيل الوطن، و مسرحية على النيف التي تم منعها قبل ذلك و إن كان عرضها خارج الجزائر.

إن القمع الاستعماري لم يبق مسلطا على المسرح فقط، بل امتد ليشمل الأغاني التي كانت تؤديها الفرق المسرحية أثناء جولاتها، حيث سيقوم الحاكم العام لوبو بمنع مجموعة من الأغاني لباش تارزي بمقتضى قرار نوفمبر 1937م، و من بينها نذكر أغنية (أفق يا بن الجزائر)، و أغنية (صوت الجزائر) [1] ، كما تمت محاكمته و سلطت عليه عقوبة 15 يوما بالسجن مع وقف التنفيذ في مدينة اورليانفيل (شلف) حاليا عام 1938م بسبب أداءه لأغاني ممنوعة من التداول [2] .

ب -السينما

عملت فرنسا الاستعمارية على توظيف السينما أيضا كوسيلة ثقافية لتكريس الاحتلال، فقد استعملت هذا الجهاز جنب إلى جنب مع الآلة العسكرية خدمة لأهداف استراتيجية قائمة على نزعة التسلط في صراعها مع الأهالي .

تمحورت أهداف السينما الاستعمارية منذ ظهورها في الجزائر على محاولة تأصيل بعض المفاهيم المغلوطة عن حقائق الصراع الدائر في الجزائر، إضافة إلى محاولة تقديم صورة هي ابعد ما تكون عن الحقيقة لملامح ذلك الصراع معتمدة في ذلك على تقنيات التأثير السينمائي على ذهن المشاهد.

عرفت السينما الاستعمارية في الجزائر كوسيلة من وسائل الإيديولوجية الإعلامية لإثبات الشرعية الاستعمارية، فبعد عروض الفرجة التي أتحف بها لويس لوميير (Louis Lumières)[3] الفرنسيين في مقاهي باريس، كلف أحد أعوانه فليكس مزغيش (Felix Mesguiche) بالتوجه إلى الجزائر لالتقاط صور للأهالي و المدن الجزائرية، فكانت الأفلام الوثائقية الأولى و التي حملت عناوين توحي بالدونية و الاحتقار.

[1] - أحمد بيوض، المسرح الجزائري، المرجع السابق، ص 48.

[2] - Roth Arlette, Op, cit, p 12.

[3] - لويس لوميير :كيميائي و رجل صناعة فرنسي ولد سنة 1846م ببزنسان بفرنسا توفي سنة 1948 مخترع السينما مع أخيه اوغست، صاحب الأعمال الفوتوغرافية خاصة بالألوان. ينظر: المنجد في اللغة و الأدب و العلوم، ط18، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص 466.

يمكن اعتبار سنة 1905م البداية الفعلية للنشاط السينمائي في الجزائر، حيث كانت جل الأفلام الوثائقية الأولى تتولاها شركة باتي (Pathe) و غومون (Goumont)، و منذ ذلك الوقت ظلت السينما الاستعمارية و إلى غاية الاستقلال تمارس كل أشكال الزيف و المغالطة من خلال الأفلام و الأشرطة الوثائقية و التي قاربت المائتين (200) [1] .

عندما ظهرت السينما قدمت لسلطات الاحتلال في الجزائر وسيلة أكثر لباقة في نقل و تمثيل الواقع بصورة تتوافق مع إيديولجيتها، و تساهم في الدفاع عن مصالحها في فترة العشرينيات، و رغم النشاط المطور من المصلحة السينمائية للشؤون الأهلية التابعة للحكومة العامة بالجزائر، كانت السينما باعتبارها أداة للسياسة الثقافية الاستعمارية محصورة في إنتاج الأفلام القصيرة وبثها على مقربة من الاحتفال المئوي على وجه التحديد [2] .

اعتبارها دعما للسياسة الكولونيالية كان على السينما توسيع نشاطاتها الدعائية و تعظيم الانجازات الفرنسية، و قد ظهر ذلك من خلال الأفلام التي تم عرضها، حيث ستشهد السينما بعد الذكرى المئوية العودة إلى تجميد أبطال فرنسا، حيث كان القادة العسكريون و الجنود هم النجوم غالبا في تمثيل مطمئن و مثالي، فقد كانت الوقائع السينمائية تعبر عن وحدة فرنسية مع الشمال الإفريقي، و ترسم مثلا رحلة رئيس الجمهورية الفرنسية دلاديه (Dladier) إلى إفريقيا الشمالية محاولة توضيح معالم الإمبراطورية الفرنسية في شمال إفريقيا.

المطلب الثاني: أهداف الثقافة الفرنسية في الجزائر:

1 - الأهداف السياسية:

من خلال هذا المخطط الاستعماري يتضح جليا لأن فرنسا كانت تسعى إلى محو المقومات الأساسية للشخصية الوطنية للشعب الجزائري، حتى يتمكن من إخضاع الجزائر نهائيا و إدماجها في الكيان الفرنسي، حيث تصبح حقيقة وواقعا و جزءا مكملا لفرنسا، و قد عملت إدارة الاحتلال في تحقيق هذا الهدف السياسي من خلال الاستيطان و الإدماج.

أ - الاستيطان:

[1] - سليم بتقة، المتخيل الكولونيالي من وهم المكتوب إلى زيف المرئي المضمر و المنظور، مجلة المخبر، العدد08، جامعة محمد خيضر، 2012، ص 10.

[2] - كميل ريسلر، المرجع السابق، ص ص 322-323.

اكتسى الغزو و الاستيطان طابعا ثقافيا أيضا، فنظم الغرب الأوروبية أصبحت سائدة في الجزائر المستعمرة و لا غرابة في أن ينشأ الاستعمار مؤسسات ثقافية مستوحاة من نظمه الحديثة في المائل المتعلقة بنشر الثقافة و العلوم و تنظيم المعرفة، لتكون هيكلا علميا مدو لفهم مختلف المعضلات المتعلقة بالمستعمرة المنشأة فيها .

و المعروف أن الاستيطان الأوروبي قد صاحب التوسع الاستعماري منذ السنوات الأولى للاحتلال، و تذكر المصادر الاستعمارية أنه منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر، أي عندما تمكنت فرنسا من فرض الأمن على معظم التراب الجزائري، شرعت في عمليات التأثير الروحي و الفكري على الرعايا الجدد عن طريق تطوير المؤسسات التعليمية و إدخال الطلبة المسلمين إلى المؤسسات الثانوية و العالية، و تذكر الإحصائيات أن الشباب الأوروبي من أبناء المعمرين شكلوا الأغلبية الساحقة من رواد المؤسسات التعليمية، خاصة في التعليم العالي ، بالمقابل لم تتجاوز نسبة الجزائريين في أوج حالاتها 15% [1] .

إن هذا الإقبال الكبير للعنصر الأوروبي و الفرنسي خاصة على المؤسسات التعليمية مرتبط أساسا بالاستيطان الذي عملا السلطات الفرنسية على إنجاحه بتوفير كل الشروط، منها إنشاء مؤسسات التعليم و التكوين لأبناء المستوطنين و لمختلف فئات الفرنسيين العاملين بالجزائر. لقد كانت سلطات الاحتلال تتخوف كثيرا من الهجرة في اتجاه فرنسا مهما كانت الأسباب و منها طلب العلم و استجابة لإرادة نخبة من المثقفين و السياسيين.

و من جهة أخرى فقد ترتب عن تشجيع الاستيطان التحاق عدد كبير من الأجانب بهذه المستعمرة، و شيئا فشيئا توفرت لديهم أسباب الاستقرار و أصبحوا من ذوي الأملاك، و لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد بل فرض هؤلاء لغتهم و ثقافتهم و طرقهم في العيش، و أشاعوا عاداتهم و تقاليدهم، فكان أن حدث نوع من الاحتكاك بينهم و بين الأهالي خاصة فئة الشباب التي كانت أكثر ميلا لهذا النمط المختلف من العيش و ما ميزه من تحرر و إغراء و تأثير، و كان ذلك مبعثا على التقليد و التبعية، غير أن ذلك لم يحل دون تحفظ البعض و اكتفاءهم بالترقب و الملاحظة خوفا من الخطر الذي قد يلحقه هذا العنصر الأجنبي بأبناء الجزائر مستقبلا [2] .

ب -إدماج الشعب الجزائري:

[1] - GYPERVIELLE? Les Etudiants Algériens des Universités Françaises, 1880-1962 Edition Casbah, Alger, 2004, p 150

[2] - عايدة أديب، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1960، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 108

كانت سياسة الاحتلال تخطط منذ البداية لدمج الجزائر في فرنسا، و ذلك بفرنستها و تنصيرها عن طريق ربطها سياسيا و إداريا بفرنسا و إذابة كيانها الثقافي و الحضاري في الشخصية الفرنسية، و من ثم طبقت فرنسا الإدماج [1] في الجزائر و فرنست البلاد، و لكنها لم تطبق الإدماج بمعنى المساواة بين الجزائريين و الأوروبيين، و إنما طبقته فقط على الأوروبيين أما الجزائريين فقد خضعوا لقوانين استثنائية صارمة [2].

غير أن هذا الإدماج في الجزائر لم يطبق إلا على الأرض دون الإنسان، فاعتبرت الأرض الجزائرية فرنسية، في حين اعتبر الإنسان الجزائري من جنس منحط يجب إجلاؤه من أرضه، فالاستعمار من هذا المنطلق كان يريد دمج الأرض الجزائرية لا التسوية بين الجزائريين و الأوروبيين.

لقد اعتبرت المدرسة الفرنسية وسيلة فعالة وناجعة لفرض هذا الإلحاق بعد أن عجز الجيش و الكنيسة عن تحقيق ذلك، و هذا ما نستخلصه مما كتبه الجنرال هوتبول أثناء تأسيس المدارس العربية الفرنسية فيقول في شأن الغزو الفكري للجزائريين: "من إحدى الوسائل البناءة للوصول إلى إقرار الأمن الكامل في الجزائر هو بث و نشر اللغة الفرنسية بين السكان ، و الطابع الإدماجي في التعليم الخاص بالجزائريين ليس هو نقل التعليم الفرنسي إلى الجزائر و إنما هو عمل سياسي مدروس وفقا لأهداف سياسية لفرنسا الاستعمارية "[3] .

و حتى الجمهوريون و على رأسهم جول فيري أرادوا أن تكون المدرسة وسيلة إلى الإدماج الكلي الذي يشمل جميع الميادين، و كانوا يرون أن التعليم هو العامل الرئيسي لتحقيق هذه السياسة الإدماجية. مع نهاية القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين كان الإدماج من مظاهر السياسة الاستعمارية لفرنسا في الجزائر، و تعليم الجزائريين لا يخرج عن هذه السياسة، و الأكثر من ذلك العملية الإدماجية تهدف إلى جعل الجزائريين يقبلون بالحضارة الأوروبية في وقت قريب أو بعيد، و معنى ذلك تحويلهم إلى مواطنين (رعايا) يعرفون اللغة الفرنسية، و بذلك يتم لفرنسا تحقيق سيطرتها على الجزائريين و وضع حد لمقاومة الجزائريين لها، و ذلك بجعلهم يقتنعون بضرورة و حتمية الاحتلال،

[1] - من الناحية السياسية يعني جعل الجزائريين سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا فرنسيين يتمتعون بالحقوق السياسية الفرنسية التي يتمتع بها الفرنسيون داخل بلادهم و خارجها بنفس الأسلوب الذي تخوله القوانين الفرنسية للفرنسيين، أما من الناحية الإدارية فيعني أن تكون الجزائر إقليما فرنسيا يتشكل من مقاطعات و يتجزأ إلى مديريات، كما تشكل كل المقاطعات الإدارية في فرنسا. ينظر: رابح تركي، التعليم القومي و الشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص 111.

[2] - تعرف هذه القوانين بقوانين الانديجينا (قانون الاهالي) و لقد أصدرته سلطات الاحتلال بعد ثورة 1871 و تم توسيعه بعد ثورة بوعمامة 1881م وفقا لقانون 6/28 و أعقبته المحاكم الرادعة التي خلفها مرسوم 29-03-1902.

[3] - Desvages H, L'Enseignement des Musulmans En Algérie sous le Rectorat Jenmaire in Mouvement Sociale, 1970, p 123.

و أكثر من ذلك ضرب الوطنية المحلية و الدينية للجزائريين و القضاء على كل ما من شأنه أن يساهم في إبراز الوطنية الجزائرية [1].

كانت سياسة الإدماج قد قطعت أشواطا كبيرة قبل مجيء الحاكم العام شارل جونار الذي عمل على تطبيق سياسته و التي يهدف من ورائها إلى خلق طبقة مثقفة من الأهالي تعمل على تعديل موازين القوة التي كانت تسير في صالح المعمرين إلى درجة التهديد بالانفصال عن الوطن الأم، كانت هذه الطبقة التي راهن عليها جونار مدعوة أيضا للعب دور الوساطة بين الأهالي عامة و الإدارة، بجعلهم أداة إيجابية في يد الإدارة تعكس صورة الرسالة الحضارية المزعومة.

لم يكن هدف الإدارة الاستعمارية في الجزائر من نشر اللغة الفرنسية في أوساط الجزائريين هدفا تعليميا، بل كان هدفا سياسيا محضا، فالإدارة الاستعمارية قصدت من وراء ذلك تعليم اللغة الفرنسية للجزائريين لترسيخ أقدامها في الجزائر، و ذلك ببث الأفكار الاستعمارية في عقول الجزائريين و جعلهم على استعداد تام لتقبل الهيمنة الفرنسية و الاحتواء الحضاري، و ذلك بتكوين نخبة جزائرية متشبعة بالثقافة الفرنسية متعلمة تعليما فرنسيا و تتقن الفرنسية، إدراكا منها لأهمية اللغة في حياة الأمم و الشعوب، لذا كان الاستعمار حريصا على تعليم لغته للأهالي حتى أن ذلك تم في بعض الزوايا و المدارس الحرة [2].

كما كان مسعى الاستعمار من وراء ذلك أيضا فرنسة كامل المحيط الجزائري و على رأسه الإدارة و التعليم، فقد أصبحت الفرنسية اللغة الرسمية في الجزائر بلا منازع و هذا طبعا يؤكد ذلك القرار الذي جاء فيه: "أن لغتنا هي اللغة الحاكمة، أن قضاءنا المدني و العقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة، يجب أن تكتب بها جميع العقود ... فإن أهم الأمور التي يجب أن نهتم بها هو جعل الفرنسية عامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا و إدماجهم فينا و جعلهم فرنسيين " [3].

يمكن القول أن الإدارة الاستعمارية نجحت في تحقيق بعض الأهداف التي سطرتها ضمن سياستها التعليمية في الجزائر، إذ ظهرت في أوساط المجتمع الجزائري شريحة متوسطة العدد تتحدث باسم فرنسا و تدافع عن وجودها في الجزائر أكثر من الفرنسيين أنفسهم، مثلما سيحدث مع جماعة النخبة

[1] - Desvages, op, cit, p123.

[2] - إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي و الثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر 2013، ص ص 128-129.

[3] - المرجع نفسه، ص ص 128- 129.

المتفرنسة، و الغريب في الأمر أن بعض الفرنسيين كانوا يصفون الجزائريين الذين تنصلوا من هويتهم بالخلاسين[1] ، فنجد إيميل قوتيه يقول عنهم: "أن المتعلمين من أبناء الأهالي في المدارس الفرنسية هم بمثابة الخلاسين ثقافيا إذ لا يمكن اعتبارهم جزائريين بالمفهوم الشامل و لا فرنسيين أيضا "[2] .

2 - الأهداف الاقتصادية:

إن مسألة الاستغلال الاقتصادي و التي تبدو بعيدة عن المشاريع ذات الطابع الثقافي هي في حقيقة الأمر من أهم محاور و أهداف السياسة الثقافية، فعلى ضوء الأبحاث العلمية المتعلقة بخيرات المستعمرة يتم هذا الاستغلال من خلال حشد الإمكانيات الاقتصادية المتنوعة سواء كانت منجمية أو زراعية وتطويرها للصناعة و متطلباتها، إضافة إلى الحاجات المتعددة للاستعمار.

كانت الثورة الصناعية قد قطعت أشواطا كبيرة أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر، وفتحت شهية المعمرين لاستغلال مختلف الموارد على الأرض الجزائرية، و لأن تطوير الاقتصاد و رفع مردوده أصبح يخضع لطرق علمية [3] ، و بالتالي اقتضت هذه الوضعية أن توجه العلوم و مختلف الدراسات العلمية و التقنية جنبا إلى جنب مع الظاهرة الاستعمارية، وذلك بإيجاد سبل التطبيق العلمي على كل ما هو محلي.

إن وجود المستوطنين الفرنسيين لم يكن وجودا سياسيا فقط، بل كان أيضا وجودا ثقافيا و اقتصاديا، و هكذا تبدو المسألة في غاية الترابط بين السياسة الثقافية و الواقع الاقتصادي، فنتيجة سياسة الجمهورية الثالثة الاستيطانية ارتفع عدد المستوطنين في الجزائر حيث وصل عددهم مطلع القرن العشرين و تحديدا في سنة 1901م حوالي 591371 ، و كانوا في هذه الفترة قد سيطروا على دواليب الاقتصاد الجزائري، خاصة في ظل قانون ديسمبر 1900م، الذي أطلق يد المعمرين لكي يديروا كل الشؤون الخاصة بالجزائر، لقد سمح لهم هذا القانون أن يطوروا موارد البلاد تحت و فوق الأرض.

إن هذه الأعداد الهائلة من المستوطنين المتعطشة للثراء لجأت إلى التفكير في تحديث الإمكانيات الفنية و المعارف الزراعية و تكوين الإطارات اللازمة لتحقيق تلك الغاية، و ذلك ببناء منظومة الاستغلال، و لذا اشتدت مطالب الكولون لفرض التعليم التطبيقي، أي استعمال التعليم الفلاحي و

[1] - الخلاسين: هم المولدون، أو الناتج البشري الذي يأتي كثمرة تزاوج هجين.

[2] - شارل روبير اجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص 37.

[3] - العكروت خميلي، جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين الجزائريين 1909- 1956، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2008-2009، ص 148.

لأنهم أي الكولون يحتكرون الأرض و يريدون استغلال أصحاب هذه الأرض و ذلك بتشجيعهم على الأعمال الفلاحية حتى يتسنى لهم تحقيق التقدم في هذا المجال .

لقد ألح المعمرون على التعليم التطبيقي بهدف خلق وسط مشبع بالثقافة الفرنسية و قادر على توظيفها لجر السكان الجزائريين في هذا المسار الذي يخدم الإدارة الاستعمارية، و بالتالي الإسهام في محاولة التغلغل الاستعماري، وهكذا أدرجت مادة تطبيقية في المواد التعليمية.

لقد تمكن المعمرون من إخضاع التعليم الخاص بالجزائريين إلى إرادتهم و إشرافهم، أن هذا التعليم التطبيق أو المهني أو الفلاحي الذي أراده المعمرون ليس هو التعليم الذي يساعد العنصر الأهلي في الحصول على مهنة ترفع من مستواه بقدر ما هو محاولة من المعمرين لتكوين يد عاملة محلية رخيصة تملك معارف تنافس بها اليد العاملة الأوروبية في الجزائر المتكونة من الإسبان و الإيطاليين التي لا تقبل ببيع طاقتها الإنتاجية بأثمان زهيدة.

في إطار مطالبة الكولون بتوسيع التعليم التطبيقي تأسست في سنة 1901م خمسة أقسام أضيفت إلى الأربعة الموجودة سابقا [1]، و للوصول إلى توسيع هذا النوع من التعليم طالبت الوفود المالية الناطق الرسمي للكولون بنقل إدارة المدارس الأهلية من مدير التربية جون مير الذي كان من المعارضين للتعليم التطبيقي، و هكذا أصبحت المدرسة في خدمة الفلاحة و أصبح التعليم الفلاحي فرعا مستقلا تحت إدارة المفتش رولان لتخريج اليد العاملة المحلية قصد تنشيط الفلاحة الأوروبية، كما تأسست مدارس أطلق عليها مزارع-مدارس، و اهتم التعليم الفلاحي بتكوين عمال فلاحيين متخصصين في إنتاج الكرمة، و حيث كان الاقتصاد الأوروبي في الجزائر يهتم بغرس الكروم لتصدير خمورها إلى المتر بول و منافسة الجنوب الفرنسي الغني بهذه الزراعة، و من جهة أخرى كسر احتكار المزارعين الإسبان الذين اختصوا بهذا النوع من الزراعة [2].

و هكذا بات واضحا أن التعليم في الجزائر أصبح مرتبط ارتباطا وثيقا بضروريات الاستعمار الاقتصادية دون وضع أدنى اعتبار لحق الجزائريين في التعليم أن مشاريع الاستيطان و تخطيط المدن و القرى الأوروبية و بناء الجسور و حفر الأنفاق و مد شبكة المواصلات خاصة السكة الحديدية، و تطوير نظام البريد و المؤسسات المالية، كل ذلك تطلب كفاءات عالية و متخصصة لتحقيق الاستيطان الحضري في مختلف المدن الكبرى، لذلك كانت مسألة إنشاء المعاهد المتخصصة ضرورية، حيث

[1] - الأقسام الأربعة الموجودة سابقا تأسست في 1895 من أصل سبعة عشر قسما كان من المفروض انجازها بسبب المعارضة التي كان يتعرض لها هذا النوع من التعليم من طرف بعض الفرنسيين على غرار مدير التربية جون مير.

[2] - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 209.

أصبحت كليات جامعة الجزائر في خدمة هذه المشاريع، على سبيل المثال كانت كلية العلوم تقدم دروسا في الكهرباء العامة للعمارات و الكهرباء الصناعية، كما نشطت مخابر الكيمياء الصناعية و الكيمياء العامة في تطوير الصناعات الغذائية التي تعتمد على الإنتاج المحلي، فتم تحسين إنتاج أنواع الزيوت و الخمور.

تحولت الجزائر مطلع القرن العشرين إلى ورشة حقيقية لمختلف النشاطات الصناعية و الزراعية، و خاض المعمرون تجربة صناعة الكروم و زراعتها مستغلين هلاك الكروم في الجنوب الفرنسي بسبب داء الكروم الفيلوكسيرا [1] ، وساعدت مصلحة الاستعلام الفلاحي على مستوى مدرسة العلوم في إنجاح هذه التجربة التي عرفت أوجها في الفترة بين 1908- 1914، كما حاول المستوطنون تجريب زراعة الحبوب في الجنوب الجزائري [2] .

إن عمليات الاستيطان و الاستغلال الاقتصادي قد تمت بطرق علمية حديثة، وذلك عن طريق توظيف جانب التفوق العلمي وإنجازات الثورة الصناعية، و كذلك الاستفادة من الخبرات العلمية للمؤسسات العلمية و على رأسها الجامعة و مختلف المخابر المتخصصة التابعة لها، لإيجاد أنجع السبل للاستغلال الاقتصادي لمختلف الخيرات الزراعية و الباطنية التي تزخر بها أرض الجزائر.

و بصدد استغلال الصحراء قام معهد الأبحاث الصحراوية الذي أنشئ في 10-07-1937م بالاستجابة لرغبة أكاديمية العلوم الاستعمارية لدراسة و تثمين الصحراء و ربطها بمحيط إفريقيا الفرنسية جنوب الصحراء ، هذه الصحراء التي راهن عليها قوتيي (Gautier) في عام 1929م [3] .

كانت مهمة المعهد تقوم على توثيق و استغلال و نشر الوثائق حول الصحراء، وكل ما يتعلق بها من أبحاث، كما تم إنشاء مكتبة متخصصة في الصحراء تنشر كل المستجدات حول المنطقة، كما نظم المعهد رحلات استكشافية للصحراء منها مهمة فزان 1944-1945م.

بفضل هذه المجهودات عرفت الصحراء اكتشافات هامة في المعادن و الطاقة و معرفة ظروفها و إمكانية تطورها، و هو ما يؤكده اكتشاف و استغلال البترول بها في منتصف خمسينيات القرن العشرين.

اهتمت إدارة الاحتلال باستغلال المواد المعدنية و الطاقوية خاصة النفط، و لذا سخرت المراكز العلمية و مخابر البحث من أجل اكتشاف البترول، خاصة في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية

[1] - الفيلوكسيرا: داء تتسبب فيه حشرة مصدرها من أمريكا تهاجم الكروم ملحقة بها أضرار جسيمة.ينظر, العربي بلعزوز، المرجع السابق، ص 201.

[2] - العكروت خميلي: المرجع السابق، ص 149.

[3] - العكروت خميلي، المرجع السابق، ص 68.

في ظل حاجتها إلى هذا المورد، فضلا إلى محاولة إعمار ما دمرته الحرب العالمية الثانية للنهوض من جديد بالاقتصاد الفرنسي [1].

3 - الأهداف الاجتماعية:

لقد كان من أهداف المشروع الثقافي الاستعماري الشامل الاستيلاء على البلاد وجعلها قطعة تابعة لفرنسا، لذلك عمل المحتل على إضعاف اللغة و إضعاف قيم المجتمع و تشويه تاريخه و محاربة دينه.

و لعل أهم ما لاحظه الاستعمار في المجتمع الجزائري هو قوة تماسكه بفضل تماسك الروابط الأسرية، و وجد أن سر ذلك راجع إلى تحكيم تعاليم الإسلام في مجال الزواج و الطلاق و الميراث و ما إلى ذلك، بالإضافة إلى التعاليم التي تدعوا إلى صلة الرحم و الإحسان إلى الأقرباء، و هي كلها عوامل توثق الصلة بين أفراد المجتمع الجزائري [2].

أ - ضرب الوحدة الاجتماعية (فلاق تسد):

لذا عمد الاستعمار إلى إلغاء أحكام الشريعة الإسلامية في مجال الأحوال الشخصية لهدم الأسرة و إضعاف تماسكها، و تغيير نمط بنائها، لأن الأسرة هي أهم ما تتجلى فيها قوة شبكة العلاقات الاجتماعية في دائرتها الأولى، و بإضعاف هذه الشبكة أو تفكيكها يسهل تفكيك شبكة العلاقات الاجتماعية في دائرتها الثانية الواسعة [3]، و ذلك بإصدار قوانين على غرار قانون سيناتوس كونسيلت الصادر في 14-07-1865م [4]، حيث صدر في 12-08-18-1922م في محاولة أخرى لزرع الفرقة و التشتت بين الجزائريين، و ذلك لفصل منطقة القبائل وجعلها تخضع لقوانين خاصة، بتحكيم التقاليد القبائلية و إنشاء ما يسمى بالنظام القبائلي في منطقة القبائل، و كان هدف فرنسا هو إبعاد أهل هذه المناطق عن أحكام الشريعة الإسلامية بأية وسيلة و لو بإثارة العصبية و التمكين للأعراف و العادات و التقاليد المحلية، و جعلها أساسا للاحتكام إليها بدل الأحكام الإسلامية، و كان من جملة أهداف هذا المرسوم ضرب الأحوال الشخصية التي كانوا يحتكمون فيها (خاصة في مجال الزواج و

[1] - Rabah, Kahiout, Le Pétrole Algérien, E.N.A.P? Alger, 1974, p 107.

[2] - عيسة بن قبي، بنية الإستراتيجية الاستعمارية في القضاء على النظم الاجتماعية والثقافية في الجزائر 1830-1962، المعيار، المرجع السابق، ص 201.

[3] - كمال لدرع، المحاولات الاستعمارية لتفكيك الأسرة الجزائرية، المعيار، مرجع سابق، ص 81.

[4] - صدر هذا القانون بعد زيارة نابليون الثالث للجزائر في ماي 1865م جاء تلبية لنداءات دعاة الإدماج الأوائل و كان الهدف منه منح الجنسية الفرنسية للجزائريين تمهيدا لسياسة اندماجية واسعة .

الطلاق) إلى الشريعة الإسلامية، و قد كان رد أهل منطقة القبائل على هذه المحاولة عنيفا و أرسلوا عريضة احتجاج إلى جمعية العلماء المسلمين ، كتب عنها الشيخ البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر تحت عنوان زواوة الكبرى تتمسك بعروة الإسلام الوثقى و تطلب الرجوع إلى الأصل، حيث جاء في هذا المقال: "جاءتنا العريضة التي نشر نصها و إمضاءات أصحابها كاملة من رجال زواوة يطلبون فيها بتأكيد من الحكومة إلغاء القوانين الخاصة بالزواوة في الأحوال الشخصية، تلك القوانين التي تستند على العادات و الأعراف لا على أحكام الشريعة الإسلامية المطهرة و يطلبون الرجوع إلى الأصل و هو إحكام الشرع الإسلامي في النكاح و الطلاق و الميراث و الحجر "[1].

و يبين الشيخ الإبراهيمي هدف الاستعمار من هذه المحاولات فقال:"إن الغاية التي يرمي إليها الاستعمار من تمكين العادات و جعلها أساسا للأحكام هو إبعاد طوائف من المسلمين عن الإسلام بالتدريج حتى تضعف فيهم الثغرة الدينية و عاطفة التآخي الإسلامي و تصير الأمة الواحدة أمتين "[2].

لقد كان لدى المحتل قناعة و إرادة سياسية في ضرب كل ما يمت بصلة إلى مرجعية المجتمع، حيث رأى البعض أنه يجب تطبيق قانون سياسي من صنع فرنسي على العرب الخاضعين و يكون تعبيرا عن فعل الخضوع و عليه يتحدد غزو العائلة أو القبيلة ثم الانشغال بغزو الأفراد و بالتالي يتم الوصول إلى القانون الديني الذي يربط الفرد بالعائلة الوطنية و الإنسانية، و في تقرير موجه للحاكم العام موريس فيوليت 1925-1927م، حيث جاء فيه:" لقد أقلق نظام القضاء الإسلامي السلطة الفرنسية "[3].

لقد كان موضوع الأسرة و تحديدا المرأة و مكانتها في المنظومة الإسلامية هو ما أرق المحتل، حيث كان يدعو إلى تخليص المرأة من الوضعية اللاإنسانية حسب زعمه و من ربقة العادات و التقاليد المحلية، و قد عمل حسب المقولة المشهورة لنعمل على أن تكون النساء معنا و سائر الشعب سيتبع.

ب -استهداف المرأة الجزائرية:

أدرك الفرنسيون أنهم لن ينجحوا في استعمار الجزائريين فكريا و ثقافيا منذ البداية، بعدما تمكنوا من استبعادهم بالقوة العسكرية، إلا بانتهاج سياسة تقوم على استهداف المرأة الجزائرية

[1] - آثار محمد البشير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر و الإشهار و التوزيع، ج3، 1981، ص 145.

[2] - نفسه.

[3] - ANOM , 17H52-57, GGA, Alger, 11-06-1927.

المسلمة للوصول إلى الهدف المنشود، و هذا بالنظر إلى مكانة و دور المرأة وسط العائلة الجزائرية، خاصة دورها الاجتماعي الذي لا غنى عنه في المجتمع الجزائري، فكان تفسيراتهم لوضع المرأة المسلمة ذات خلفية استعمارية، و رد السبب في تخلفها إلى الدين فمنهم من تأسف على حالها، و منهم من جعلها ضحية التعاليم الدينية القاسية ، و التي تكرس قوامة الرجل عليها ومنحه حق الطلاق، فضلا عن فريضة الحجاب و العفاف، و قد اعتبر هؤلاء الكتاب المجتمع الجزائري مجتمعا رجوليا بامتياز لا دور فيه للمرأة[1] .

من ناحية أخرى عملت الكتابات الفرنسية المتعلقة بالمرأة و المهتمة خصوصا بالشأن الاجتماعي للأهالي، على ضرب مواطن القوة في الكيان الجزائري المتماسك، فكانت المرأة هدفا رئيسيا و مبررا لإرسال البعثات التبشيرية إيمانا من المستعمر بأن عملية التغيير لن تتم ما لم يبدأ بالمرأة فيسلخها عن أصولها، لأن أهمية الأم داخل الأسرة عند المسلمين عظيمة جدا، فهي التي تتولى الأطفال، ذكورا و إناثا، إنها هي التي تربيهم و تعلمهم ، لذلك رأى قادة الاحتلال أن عليهم بث الروح الفرنسية بداخل أمهات العائلات المسلمة، حتى تتحول هذه الروحانية العذراء لأطفالهن الصغار، كما كتب شارل روبير قارينيي (Ch. R . Garnier) سنة 1911 في كتابه "احتلال الإسلام عن طريق النساء" متسائلا عمن باستطاعته (ها) الاقتراب من النساء المسلمات و تعليمهن و تأدية هذه المهمة الوطنية و القومية ليجيب بعدها عن تساؤله: "تمتلكن الشجاعة و الكرم و الإخلاص ، لأنكن أنتن فقط سيداتي الفرنسيات قادرات على تنفيذ هذه المهمة، أنتن فقط اللواتي باستطاعتكن التأثير على أخواتكن التعيسات بسبب الإسلام، و إيجاد الطريق إلى قلوبهن، و جعلهن مرتبطات بكن، بفضل أعمالكن الخيرية الصالحة ..."

إن وضع المرأة زمن الاستعمار هو جزء من الوضع العام الذي كانت عليه الجزائر و وضع الرجل الجزائري، فالمرأة قبل الاحتلال كانت تتمتع بالاحترام و التقدير و تحظى بالرعاية ، و كيان له شخصية و حضوره الأسري و الاجتماعي و تشارك الرجل في ميادين الحياة [2] .

غير أن الكتابات الاستعمارية الفرنسية التاريخية و الأدبية خاصة عملت على رسم صورة مشوهة عن الحياة الاجتماعية للمرأة الجزائرية داخل كيانها الأسري، و مكانتها في النسيج الاجتماعي للمجتمع

[1] - أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، 1954-1830، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص337.

[2] - زهور ونيسي، مساهمة المرأة في صنع النصر، مجلة الأصالة، العدد21، أكتوبر –نوفمبر، 1974، ص135.

الجزائري المسلم، التي كانت توصف غاليا من قبل هؤلاء الكتاب بأنها تعيش حياة بؤس و شقاء، و توصف بالتخلف و الجهل، حيث اعتبرت المرأة العربية المسلمة مخلوقا لا قيمة فعلية له، و لا

دور لها في المجتمع الذي تعيش فيه، و في الوقت ذاته حاولت هذه الكتابات أن تثبت حقائق غير صحيحة، عن كون المرأة الأوروبية سببا في انعتاق و تحرير المرأة الأهلية، و نحن ندرك أن الغرض من هذه الأطروحات كان محاولة تشويه صورة الفرد الجزائري المسلم في إطار الأطروحة الاستعمارية المعروفة و القائلة بان الإنسان الأهلي إنسان متخلف فطريا و غير قابل للتطور ا التحضر و بالتالي تكون هذه الأطروحة مدخلا لانتقاد أحكام الشريعة الإسلامية، و تشويه الدين الإسلامي الحنيف [1].

و عليه فإن وضع المرأة المسلمة السيء –حسب الفرنسيين- سببه أحكام الدين الإسلامي أولا، و المجتمع الرجالي ثانيا، و بالتالي فلا يمكن تغيير حال المجتمع إلا بتغيير حال المرأة فيه [2].

لقد استغل المحتل ما انتشر في المجتمع الجزائري من العادات الخاطئة التي هي وليدة عصور الانحطاط، فكانت المرأة تمنع من الخروج من البيت في كثير من المناطق الجزائرية و تمنع من التعليم، و اقتصر نشاطها على إشغال البيت و أعمال بدائية كالغزل إضافة إلى أنها كانت ضحية سهلة للخرافات و الشعوذة و السحر [3].

كل ذلك جعل المستعمر يحاول استغلال وضع هذه المرأة عن طريق الدعوة إلى تحريرها و مساواتها بالرجل و تغيير شكلها في اللباس و إفساح المجال لها للمشاركة في النشاط الاجتماعي، و هو بذلك يريد تشكيل امرأة جزائرية على النمط الأوروبي، و ضرب الأسرة عن طريقها، إضافة إلى ما كان يقوم به من تشجيع مظاهر الانحراف كالبغاء لتمييع أخلاق المجتمع .

[1] - يمينة بشي، مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال، مجلة المصادر، ع3، 2000، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، دار الحكمة، الجزائر، ص 219.

[2] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص338.

[3] - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة 1985، ص ص 84-85.

المبحث الثالث:

النخبة الجزائرية و الثقافة الفرنسية .

المطلب الأول: أثر المدرسة الفرنسة في ترسيخ الثقافة الفرنسية .

1 ـ مهمة المدرسة الفرنسية .

2 ـ إستراتيجية إدارة الاحتلال لتوظيف المدرسة كأداة توغل في المجتمع الجزائري .

المطلب الثاني: موقف النخبة من السياسة الثقافية الاستعمارية .

1 ـ موقف النخبة المحافظة .

2 ـ موقف النخبة المفرنسة .

المطلب الأول: أثر المدرسة الفرنسية في ترسيخ الثقافة الفرنسية:

مثلت المدرسة حجر الزاوية في النظام الاستعماري سواء تعلق الأمر بالجزائر أو بغيرها من المستعمرات، فمن خلال المدرسة استطاع الاستعمار أن يمتد في المستقبل و يتجاوز بسهولة كل توقعات طموحاته.

إن الاستعمار بمفهومه السياسي و العسكري و الحضاري لا يعني فقط احتلال الأرض و استغلال الثروة، و إنما يعني الهيمنة على عقل و ذهنية الجزائريين الذين سمّاهم لظروف حضارية و استعمارية انديجان [1].

لقد سارت المدرسة إلى جنب الكنيسة، و إ ذا أمعنا النظر فإن المدرسة وسيلة في يد الكنيسة استعملت للتنصير إن لم تكن إحدى الوسائل لانتزاع الإسلام من عقول و قلوب الجزائريين.

1 - مهمة المدرسة الفرنسية:

قبل أن تشرع المدرسة الفرنسية في أداء مهمتها و القيام بوظيفتها كان عليها منذ البداية أن تتخلص من المدرسة الجزائرية، كبناية أولا و إن كان لم يبق منها إلا الأطلال، فقد هدمت و تم الاستيلاء على مصادر تمويلها، خاصة أن الفرنسيين عندما احتلوا أرض الجزائر انبهروا بانتشار التعليم عبر هذه المؤسسات الحرة، في الوقت الذي لم تتعرف فيه فرنسا على المدارس العمومية، و كان التعليم في قبضة الكنيسة [2].

إن المدرسة الفرنسية ليست مؤسسة خيرية كما كانت تروج لها وسائل الدعاية الاستعمارية، فلقد قامت هذه المدرسة بمحاولة الاستيلاء على عقول الأهالي، و هو ما وضعته نصب عينيها، فعملت غدارة الاحتلال على إزالة كل ما من شانه عرقلة تلك المهمة، فقد منعت تدريس اللغة العربية في وقت كان هؤلاء في أمس الحاجة إلى من يعلمهم لغتهم التي هي الأداة الأولى للاتصال و التخاطب، فلقد أصبح الجيل الرابع غير قادر على التخاطب باللغة العربية و حتى بالعامية.

[1] - الزبير يقدح، المدرسة الاستعمارية في الجزائر، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص60.

[2] - نفسه، ص61.

ويمكن تصنيف المدرسة الفرنسية إلى مدارس كنيسة تنصيرية يشرف عليها الرهبان، و مدرسة لائكية تشرف عليها الإدارة الاستعمارية، و العلاقة بينهما تتمحور حول كيفية الاستيلاء و الهيمنة على الشعب الجزائري وانتزاع الإسلام من قلوب أبناءه.

هذا ما أوضحه وزير التربية الفرنسي الفريد رامبو (Alfred Ramboud)[1] في 1898: "لقد تم الغزو الأول بالسلاح و انتهلا في 1871م، و يقتضي الغزو الثاني إخضاع الأهالي لإرادتنا و عدالتنا، أما الغزو الثالث سوف يتم بالمدرسة "[2].

من هذا نستخلص أن مهمة المدرسة تتمحور حول الغزو الفكري للنشء الجزائري و هذا التصريح خير دليل على تلك الإرادة الاستعمارية، وبالتالي فإن مهمة المدرسة الفرنسية لن تكون أبدا مهمة علمية.

2 - إستراتيجية إدارة الاحتلال لتوظيف المدرسة كأداة توغل في المجتمع الجزائري:

أدركت إدارة الاحتلال في الجزائر بمرور الوقت أن القوة العسكرية بمفردها و العنف المفرط لن يحقق لها المشروع الاستعماري المنشود إلا مؤقتا، و أن الحل الأمثل و المستقبلي يجب أن يكون ضمن إستراتيجية تسعى إلى احتواء الجزائر ثقافيا و دينيا بوسائل و أسلحة سلمية، غير أن حقيقة هذه الوسائل كانت أشد خطورة [3] من الأسلوب الأول، لأن الأمر لا يتعلق بسلب الأرض و لكن خطورتها أنها تستهدف الموروث الثقافي و الديني للمجتمع الجزائري.

فكان من بين هذه الوسائل التي وظفتها سلطات الاحتلال المدرسة التي اتخذت كوسيلة للمد الاستعماري بالجزائر، مما يسمح بضمان أمن و سلامة المستوطنين الأوروبيين، وقد اهتم بهذا الطرح الكثير من المفكرين و المنظرين الاستعماريين، و اهتموا بتكوين المعلم الموجه للتدريس في الجزائر، حيث كان ينظر له كفاتح فكري و ثقافي و ناشر لفلسفة الاستعمار بلغة القلم لا بالسلاح، حتى قال أحدهم: "يجب على المدرسة الفرنسية أن توجه سهامها و تضرب بقوة كل ما هو وطني و بخاصة كل ما من شانه أن يساهم في تكتل الأهالي حول هويتهم الأصلية"، و هذا طبعا تماشيا مع ما جاء في كلام الدوق دو روفيقو عندما قال : "بأنه سيرى يوما ما المدرسة الفرنسية تساهم حقيقة في دمج الجماعات التي كانت تعيش في الجزائر من فرنسيين و إيطاليين و يهود و جزائريين" . و هو ما يعني أن للمدرسة دور مهم

[1] - الفريد نيكولاس رامبو: من مواليد 02 جويلية 1842م ببوزانسون بفرنسا، أستاذ التاريخ الحديث و المعاصر، بكلية الآداب بباريس منذ 1884م، سيناتور عن منطقة الدوبس، بين 1895-1903، وزير للتعليم العام بين 1896-1898م، توفي بباريس في 02 نوفمبر 1905م

[2] - الزبير يقدح، المرجع السابق، ص64.

[3] - عمار هلال، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص109.

في عملية تحويل الجزائر إلى قطعة فرنسية ليس بالمعنى الجغرافي، وإنما من حيث الانتماء، و يؤكد هذا الكلام ما جاء في تقرير مسؤول إحدى المؤسسات الاجتماعية بفرنسا التي كانت تستقبل أبناء الأعيان من الجزائريين حيث تتم تربيتهم و تدريبهم بخصوص تأثير التربية الفرنسية في هؤلاء الشباب قائلا: "أنهم بالفعل يدخلون في منازلهم عاداتنا الفرنسية..." [1] ، وحسب شرح دي فولويد في كتابه الجزائر الفرنسية حيث قال : "من خلال المعلمين بإمكاننا أن نمسك بأجيال المستقبل "[2].

المطلب الثاني: موقف النخبة من السياسة الثقافية الاستعمارية:

1 - موقف النخبة المحافظة

أ - موقفهم من التعليم:

تعبر مسألة التعليم من أهم المسائل الكبرى التي ركزت عليها مواقف شيوخ و علماء المدارس لإيمانهم القوي بأن أكبر عدو قيد الجزائر للاستعمار هو الجهل و ضعف الدين و انتشار الخرافات و العقائد الفاسدة، لذلك سخروا كل جهودهم و أعمالهم للتدريس و التأليف و إلقاء الدروس في المساجد.

فتمثل موقف الشيخ عبد القادر المجاوي الذي سمي "بأبي النهضة" و سماه البعض "شيخ الجماعة" في نقمته على البدع و الخرافات، و العمل على تحريك المجتمع نحو العلم و المعرفة، و ظهر ذلك في مؤلفاته في مجال التربية و التي تعتبر أساس كل إصلاح [3].

و برز ذلك بوضوح في مؤلفه "إرشاد المتعلمين" الذي دعا فيه إلى اليقظة و تعلم العلوم على اختلاف أنواعها، و اللغات الملائمة بين الدين و العلم [4].

و في رسالة ثانية له "المرصاد في مسائل الاقتصاد" إذ تعرض فيها إلى إنكار الفساد الاجتماعي و بيان البدع و ضرورة النهضة العلمية التي هي العنصر الرئيسي لتطوير الشعوب، و أن فساد المجتمعات يرجع إلى انعدام التربية الصحيحة و عدم الاهتمام بالأبناء و النشأة باعتباره جيل المستقبل فيقول: "و ما كثر الفساد في أمة إلا بعدم تربية الأولاد فإنما نرى الأولاد يتعلمون الفساد ... و إننا نرى

[1] - AMOM, Fu F80/1571, éducation des jeunes Arabes en France 1839-1847* note pour le ministre de la guerre à monsieur le conseiller de l'état paris 18 septembre 1845.

[2] - De Feuillide, l'Algérie française, p 241.

[3] - سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق ، ص148.

[4] - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص116.

الأمم الحية حصل لها الرقي بتربية أولادهم و تعليمهم العلوم النافعة والمعرفة المفيدة، فيجب التبصّر لمثل هذا الغالب أن إهمال الأولاد من الأمهات الجاهلات أو المتعلمات تعلما ناقصاً " .

و قد دعا إلى ضرورة تعليم المرأة و الاهتمام بها لأنها أساس التربية، كما أوصى بضرورة اتباع مناهج التربية و التعليم بدراسة الأخلاق و علم النفس، و ثار ضد الطرق البالية للتعليم و نقدها و دعا إلى النهوض بالتعليم الجيد حيث قال: "التعليم القديم غير نافع في زمننا لنقائصه، إذا تعليم القرآن وحده على الكيفية المألوفة عندنا بهذه الأقطار لا يفيد المتعلم و أباه، فلابد من معرفة العلوم النافعة الدين و الدنيا ... "[1] .

و من الذين اهتموا أيضا بالدفاع عن تعليم المسلمين و الدعوة إلى تلقينهم مختلف المعارف و النهوض بمستواهم الشيخ "مولود بن موهوب"، و الذي شخّص وضعية قطاع التعليم في هذه الفترة و كان شعاره: "إن الجزائر وصلت إلى أسفل نقطة في سلم التدهور و لكي تتخلص من هذه الحالة يجب أن تؤمن بالتقدم و التعليم بكل الوسائل و التسامح و العودة إلى ينابيع الإسلام الصافية" .

و لهذا السبب أعلن ابن موهوب الحرب ضد الجهل و الإجحاف و الكسل، لكي تتحرر من حالتها المنحطة، و كان يؤمن بأن كل الآفات التي كانت متسلطة على البلاد سوف تنتهي بخلق المدارس ثم المدارس، و هو الذي أنشد يقول:

- إن العلم يزدهر بالعمل
- إن الكسل يقتل موهبة الإنسان
- فاعملوا بجد أيها الشباب لتحصلوا على مكان مشرّف
- اطمحوا مثل الآخرين إلى المجد
- لا تيأسوا، لأن الله يسعف دائما أولئك الذين يفعلون الخير
- ألستم نسل شعب عظيم؟
- ألستم أبناء رجال شجعان؟ [2] .

[1] - كمال خليل،المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر التأسيس و التطور 1850-1951م، مذكرة ماجيستير في تاريخ الجزائر المجتمع المغاربي الحديث و المعاصر، مرقونة، قسنطينة، 2007-2008 ، ص 144.

[2] - سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص 151 .

و في محاضرة ألقاها بعنوان "الجزائريون و الحضارة" تحدث فيها عن أسباب التخلف في الجزائر، عن المستوى المادي و المعنوي للشعب و الابتعاد عن الآداب السليمة و عن الإسلام، و الفقر و الجهل ... و دعا إلى التخلي عن العادات السيئة كالكسل و عدم التسامح بالتمسك و الاهتمام بالعلوم الحديثة، و في نهاية محاضرته دعا أبناءه قائلا: "مزقوا عنكم الظلام و افتحوا أعينكم على عالم مليء بالضوء"

و قال أيضا: "إن احترامنا متوقف على جودة عملنا ". و بالتالي فإن ابن موهوب كان له دور مزدوج، دور وطني و هو الدعوة إلى اليقظة و النهوض و رفض الكسل و الوحدة و التنافس مع باقي الأمم و المجتمعات، و دور إصلاحي في تأثره الواضح بمفكري و علماء الجامعة الإسلامية مثل الشيخ جمال الدين الأفغاني، و الشيخ محمد عبده، و رشيد رضا ...[1].

ومن بين الشخصيات المثقفة ثقافة مزدوجة نجد محمد بن رحال [2] الذي عرف كيف نجد عناصر الفصل بين الإسلام و الحداثة، و كيف يطرح مسألة مصير الجزائر فكان يرى أن التعليم الفرنسي في الجزائر لكي يكون ناجحا يجب أن يدعم بالتعليم العربي الإسلامي، كما يرى أن القيم التي تنشرها المدرسة الفرنسية كالديمقراطية و المساواة أمام القانون يمكن أن تكون وسيلة مطالبة في يد الجزائريين ضد قمع و تعسف السلطة الاستعمارية، فقد نبّه ابن رحال فرنسا و معها كل أوروبا سنة 1897م إلى ضرورة تعديل موقفها إزاء العالم الإسلامي الذي بإمكانه أن يأخذ بزمام الحضارة من جديد، كما أن مصلحة أوروبا أن تكسب ود الإسلام لأن هذا الأخير حسب قوله 1غذا لم يتحضر بواسطتها و عن طريقها فإنه سوف يتحضر رغما عنها و ضدها بحيث أنه أعلن بوضوح أن الإسلام قابل لاستيعاب الحضارة الحديثة [3].

بالإضافة إلى ابن شنب الذي حاول دمج ما هو تقليدي في قالب العصرنة و الحداثة بحيث اعتنى بالتراث القومي و إحياء الكنوز المدفونة و إثراء الأدب الجزائري حتى يواكب النهضة السائدة في المجتمع الغربي دون التخلي عن الأصالة كقاعدة لحضارتنا، حتى نستطيع المقاومة و الاستمرار، و كان يرى أن التغيير الاجتماعي يكون عن طريق الثقافة و الإنتاج العلمي و الفكري و ليس عن طريق السلاح ، و هذا

[1] - سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص 151.

[2]- أنظر الملحق رقم 7.

[3] - الطاهر عمري، النخبة الجزائرية و قضايا عصرها من بدايات القرن العشرين إلى ما بين الحربين العالميتين، دط، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009، ص 144.

ما جعله بعيد عن كل ما هو سياسي، و يعد من الأوائل الذين خرجوا بأسلوب جديد مميز عما هو موجود في الكتابة و التأليف و هو مستند من المنهج الأوروبي [1] .

ب -موقفهم من الإدماج و التجنيس:

من الشخصيات التي عارضت فكرة إدماج الجزائريين في المجتمع الفرنسي عمر بن قدور الجزائري الذي رأى في ذلك تهديدا خطيرا للعروبة و السلام في الجزائر ، إذ قال في مجلة "الحضارة" الصادرة بالأسيتانة التي كان ينشر فيها مقالاته قوله "إننا قوم لنا قومية، عروبتنا متينة و لنا ملة قيمتها ثمينة، فما لنا رغبة في الإدماج بفرنسا و لا بغيرها من الأجناس" [2] . وكتب في صحيفة الحق مقالات دافع فيها عن العروبة و الإسلام بقوله : "إن الذين يريدون هدم البيت القديم مهما كان مترديا قبل أن يبنى الجديد هم أعداء المسلمين".

و قال أيضا: "علينا ألا نتكل على غيرنا و أن لا نهمل لغة أجدادنا و تعاليم ديننا و إلا نموت موت الجاهلية ... نحن عرب و نحن مسلمون نموت عربا و نموت مسلمين "[3] .

تعتبر صحيفة الحق الوهرانية 1911، التي كانت تمثل المرجعية العربية بالنسبة للنخبة الجزائرية المحافظة في حوارها السياسي مع الاستعمار، و يذكر جغلول "أن الصحيفة تصدر لأولئك الذين كانوا يطمحون إلى الاندماج الفردي في المجتمع الفرنسي" فبينت انه ينبغي تطوير بذور الحداثة لكن ليس في اتجاه الإدماج في المجتمع الفرنسي، بل باتجاه تحديث شامل للمجتمع الجزائري على الشخصية العربية الإسلامية، و قد جاء في هذه الصحيفة في عددها 6 سنة 1912م، خطاب موجه إلى المستعمرين الأوربيين ورد فيه ما يلي: "أن لا تحاولوا أن تعطوا أولادنا شعورا مسبقا عن حضارتكم التي اعتبرناها منذ زمن أدنى من حضارتنا" [4] .

كما أن هذه الفئة كانت ترفض التنازل عن جنسيتها التي تمثل كيانها و هويتها، و خير دليل على ذلك العريضة التي قدمها أعيان مدينة قسنطينة ضد التجنس المذكورة سالفا .

[1] - بلقاسم نادية سماتي، دور محمد بن ابي شنب في النهضة الفكرية في الجزائر، رسالة ماجيستير في علم الاجتماع الثقافي، الجزائر، 2005-2006، مرقونة، ص43 وما بعدها.

[2] - عمر بن قينة، أعلام و أعمال في الفكر و الثقافة و الأدب دراسة، دط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 35.

[3] - عمري، المرجع السابق، ص ص 158-159.

[4] - عبد القادر جغلول، الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر، تر: سليم قسطون، ط1، دار الحداثة، الجزائر، 1984، ص 84.

2 - **موقف النخبة المفرنسة:**

1 - موقف " الشريف بن حبيلس" من خلال كتابه "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي" و هذا الكتاب عبارة عن شهادة حية لمنتوج المدرسة الكولونيالية الفرنسية، و هو يجسد الأفكار الاندماجية من أحد المثقفين الفرنكفوليين الجزائريين الذين تشبعوا حتى النخاع بالثقافة الفرنسية بمخالف مستوياتها، حيث نجد عبارتي التقارب و الاندماج قد لازمتا هذا الكتاب الذي سعى مؤلفه إلى إثبات هذا التزاوج المستحيل موضوعيا [1].

و من المواقف المستخلصة من الكتاب أنه مدح فرنسا لجلبها الأمن و الهدوء و الطمأنينة بعدما كانت تعيش قبل الاحتلال في الاضطراب و الفوضى، متبينا في ذاك نظرة المستعمرين في القول بأن الجزائر كان يسودها جو من العنف و عدم الاستقرار بسبب الصراعات القبلية و الهمجية و غياب الشخصية التاريخية لها، أما فيما يخص الاستعمار فقد خصص لها مدحا متحمسا إذ يرى أن فرنسا قدمت محاسن اقتصادية و اجتماعية للأهالي الذين هم مدينون لهم بها . منح للبعض الثروة و للأغلبية الرفاهية، و للجميع رغد العيش و الهناء و حالة صحية أحسن ... إنه أحدث تغييرا في معالم المجتمع الجزائري إذ مكنه من الخروج من حياة الخمول و الجمود المستحكمة فيه منذ قرن من الزمن، ويضيف المؤلف أن للاستعمار إيجابية أخرى و هي إقناعه للأهالي بأن الاحتلال الفرنسي دائم و لا مفر منه و عليهم الاستسلام لذلك، و أكد في هذا الشأن قائلا : "نضيف دون أن نخشى معارضة أحد بأن هذا الاستسلام لا يتغلغله أي ندم ، بل بالعكس فهو كله احترام و إعجاب" متغاضيا عن عمليات التشريد و الحرمان الذي تعرض لها الشعب الجزائري من جراء الاستعمار، أما النسبة لوسطه الأهلي فقد حكم عليه المؤلف بقسوة ممزوجة بعاطفة، فوجه للأهالي من جهة انتقادات حادة غذ ندد بالكسل النابع منهم و بلا مبالاتهم و أفكارهم الضيقة و استسلامهم للبؤس و الأمراض و تصديقهم للخرافات و ممارسة الشعوذة، لكنه أشاد من جهة أخرى بهذه الطبقة من الفلاحين البسطاء التي قدمت تلاميذ نجباء للمدرسة الفرنسية، و يرى بأن هذا الشعب البائس ليس له ما يخسره إن أصبح فرنسيا، و أكد بأن العرقلة الوحيدة أمام ذلك هي تأثير الأفكار السلفية المتعصبة، و لكن بإمكان التعليم الفرنسي إزالتها و رفض الحجة القائلة بأن الجزائريين غير قابلين للتعليم و التصحيح و أنهم أعداء المدرسة، حيث أن التعليم في نظره ضرورة و خير بالنسبة لهم ، و طلب بنشر التعليم الفرنسي و

[1] - عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962 مشارب ثقافية و إيديولوجية، (م.و.ن.إ)، ط2، الجزائر، 1995، ص 74.

الثقافة الأوروبية بأسرع ما يمكن لتطوير المجتمع الجزائري، و يرى بن حبيلس أن شعبه وصل إلى درجة كبيرة من الانحطاط فدعا إلى محاربة الجهل و الكسل [1].

2 - موقف "إسماعيل حامد" الذي كان من المؤمنين بدور النخبة المتفرنسة، و كان من دعاة قابلية الجزائريين للاندماج و التعلم و التقارب مع الفرنسيين، عكس هؤلاء الذين يقولون أن الجزائريين غير قابلين للتعلم و الاندماج لأنهم متعصبون و معارضون للتقدم ، و في كتابه "المسلمون الفرنسيون في شمال إفريقية" يحاول فيه تكذيب هذه الأطروحة، فالجزائريين تزوجوا بفرنسيات و تجنس منهم البعض و أظهر من درسوا في المدارس الفرنسية تسامحهم الديني و السياسي ، و لم يعد الجزائريون متعصبين حتى أن الممارسات الدينية أصبحت عندهم حسب قوله ضعيفة و قل عدد الحجاج، وقد ذكر أسماء عدد من الكتاب بالفرنسية مثل : الطيب مرسلي، و محمد بن رحال، و هناك في نظره صحفيون و محامون برهنوا على ولائهم للفرنسيين [2].

و من المواضيع أيضا التي اهتم بها أيضا إسماعيل حامد موضوع المرأة الذي تحدث عنه في كتابه "مسلمات شمال إفريقية"، حيث تحدث إسماعيل حامد عن الطبقة الجديدة التي ستقود المجتمع إلى السعادة، إنها الفئة الهجينة التي ستتولد من الزواج المختلط، و هو الزواج الذي سوف يكون بين مسلمين متفرنسين و فرنسيات و بين فرنسيين و مسلمات متفرنسات.

و قد ألح حامد على تعلم المرأة و استبعد أن يكون الاندماج الكلي ناجح و الأقرب عنده هو الاندماج المحدود عن طريق الزواج المختلط،و اعتبر أن جهل المرأة أحد عوامل الانحطاط [3].

و قد اهتمت النخبة المفرنسة اهتماما كبيرا بقانون التجنيد الإجباري الذي اعتبروه فرصة هامة تسمح لهم بالحصول على مزايا و حقوق المواطن، و قادوا حملة واسعة لإقناع الجزائريين بقبول القانون، و عندما قرر "الشبان الجزائريون" الذهاب إلى باريس لشرح أفكارهم و التعريف بمطالبهم ، برز المتجنسون ضمن الوفد الأول الذي أرسل في سنة 1908م إلى رئيس الوزراء، كما برز ضمن الوفد الثاني الذي أرسل في جوان 1912م إلى رئيس الجمهورية الفرنسية ، و ذلك لإقناعها بمنح تعويضات سياسية للأهالي مقابل الخدمة العسكرية و الاعتراف للجزائريين المجندين بحق اختيار الجنسية الفرنسية بعد التسريح.

---

[1] - الشريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي و آخرون ، ط1(د.ب.د.ن.ت)، الجزائر،2009، ص ص 15 و ما بعدها .

[2] -سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 208.

[3] - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص ص 187-188.

ترأس الوفد المحامي أحمد بوضربة، و قاد الوفد الثاني ابن التهامي، و قد طرحا أنفسهما كمدافعين على الأهالي على الرغم من حذر هؤلاء من أولئك المتمردين الذين يزعمون تمثيلهم.

لاشك أن نشاط المتجنسين رغم قلة عددهم كان هاما و متعدد الأشكال، و قد تجلى في الصحافة و الاجتماعات العمومية و التدخل في المجالس النيابية ، وضمن الوفود التي توجهت إلى باريس، و في العرائض و التجمعات و النوادي الثقافية، و الجمعيات التي أسسوها كالجمعية الراشدية و التوفيقية.

و لقد لعبت هذه الجمعيات دورا هاما في نشر الثقافة و تشجيع التعليم و محاربة الجهل و التعصب ، كما امتاز المتجنسون بالتسامح و الروح الإنسانية رغم ما لا قوة من إجحاف و كره من كل الأطراف، و ظهرت كفئة لامعة في الحياة السياسية و الاجتماعية أدت دورا بارزا في المطالبة بالاندماج و توسيع التعليم الفرنسي و منح الحقوق السياسية و الدفاع عن المجتمع الجزائري، و عمل على تحقيق تقدمه داخل الوطن الفرنسي [1] .

[1] - بن حسين، المرجع السابق، ص ص 132-133

الخاتمة

خاتمة:

اعتقد ساسة الاحتلال أن الجزائر لا يمكن أن تكون إلا مستعمرة ،لذلك أعلن الاستعمار الفرنسي منذ أن وطئت أقدامه هذه الأرض حربا شاملة على كل المستويات العسكرية و الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، مستهدفا بذلك تدمير المجتمع الجزائري في تركيبته الاجتماعية وفي مقومات هويته .

ركزت السلطات الاستعمارية من خلال التضييق على اللغة العربية بمحاربتها بشتى الوسائل كترسيم اللغة الفرنسية وإحلالها بدل العربية ومحاولة نشر اللهجة البربرية وكذا العربية العامية ، كما سعت إلى تشويه التاريخ الإسلامي وتمجيد التاريخ الفرنسي في محاولة منها إلى ربط مصي الجزائر بفرنسا.

ارتكزت الإستراتيجية الفرنسية في المجال الثقافي على هدم كل البنى الثقافية والروحية التقليدية، وأحلت محلها بنى غربية وغريبة عن المجتمع الجزائري ، مستعملة المدرسة التي كانت أهم تلك الوسائل التي تجعل الجزائريين يقبلون بفكرة الاستعمار ، وقد نجحت المدرسة الفرنسية في ذلك إلى حد ما عندما كونت نخبة متأثرة بثقافة المستعمر.

ساهمت مجموعة من الدوافع والظروف في ظهور نخبة جزائرية ، أو ما يسمى في أدبيات المثقفين الأنتلجنسيا ، التي تكونت في ظل هذه الظروف الاستعمارية الصعبة ، إضافة إلى تداعيات المستوى الاجتماعي المزري والسياسي الصعب ، بالإضافة إلى عامل ازدواجية التكوين ،التكوين العربي أو المفرنس ، فالأول اعتمد على المدارس القرآنية والمساجد الكبرى التي اهتمت بتدريس الدين الإسلامي وعلومه ،دون إغفال مزاولة التعليم الفرنسي ، أما الثاني فلعب على وتر الإدماج وإقصاء كل ماله علاقة بالتراث العربي الإسلامي .

إن البعث الحضاري والتكوين الفكري الذي أفرز النخب الجزائرية باختلاف أيديولوجياتها ، يمكن إرجاعه إلى الوعاء الذي احتضن كل الارهاصات الفكرية والثقافية الأولى، إضافة إلى طبيعة الأحداث التاريخية التي مرت بها الجزائر والتي كانت لها بالغ الأثر في رسم الأسس الفكرية للمدارس الجزائرية أو المعاهد الخارجية التي أدت إلى ظهور تطلعاتها الفكرية والنضالية خاصة بعد فترة الحرب العالمية الثانية ، سواء كانت مدارس تابعة لجمعية العلماء المسلمين التي تبنت التعليم العربي الحر ، أو مدارس أوجدتها السلطات الاستعمارية ، والتي كانت تسعى وتناور من خلالها لإدماج المجتمع

الجزائري في المجتمع الفرنسي ، فالأولى كان غرضها المحافظة على مقومات الهوية الجزائرية ، أما المدارس الثانية التي أنشأتها الإدارة الفرنسية فكانت تهدف إلى عكس هذا التوجه المحلي ذي الجذور الإقليمية العربية الإسلامية ،من خلال سعيها إلى خلق جيل يحمل ثقافة حضارية مختلفة لا تمت بأي صلة لهذا المجتمع .

إن اختلاف تكوين النخب في الجزائر الاستعمارية ، كان بسبب الواقع الاستعماري والتراكمات التاريخية والثقافية ، التي ميزها توجهاتها ومطالبها تجاه القضية الجزائرية ، حيث طالبت كل فئة بتغيير الوضع وإصلاحه ، حسب نظرتها وقناعتها ،ترتب عن تكوين النخب الجزائرية في السياسة الثقافية الاستعمارية نتائج هامة كان للمدرسة الفرنسية الأثر البالغ في ظهورها خاصة ما تعلق منها بالنظام التربوي الذي كان سائدا والذي تأثر سلبا نتيجة ما طال مؤسساته التقليدية من الهدم والتخريب ومراقبة ما تبقى منها والتدخل في برامجها ، ولذا تراجعت نسبة التعليم القرآني واللغة العربية ، فضلا عن ذلك لم يسلم الواقع الاجتماعي الذي ضرب في الصميم من خلال محاولة إبعاده عن جذوره العربية الإسلامية بزرع عادات وثقافة دخيلة ، وكان تأثير الاستعمار واضحا في تفكيك البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري .

كادت فرنسا الاستعمارية أن تحقق أهدافها بتبنيها لتلك السياسة الثقافية ، وتجسيد فكرتها الرامية إلى جعل الجزائر فرنسية لو لم تظهر مقاومة ثقافية التي مثلتها زعامات وجمعيات ونوادي وتيارات وطنية خاصة الإصلاحية وذلك من خلال مواقفها من قضية الثقافة الفرنسية بمختلف مظاهرها.

في الأخير رغم محاولتنا للإحاطة بموضوع تكوين النخب في الجزائرية في السياسة الثقافية الفرنسية يبقى الموضوع مفتوحا لمزيد من البحث للإجابة عن التساؤلات المطروحة.

الملاحق

الملحق رقم 1: أعضاء جمعية العلماء المسلمين [1] .



أعضاء جمعية العلماء الأساسيون: الجالسون من اليمين: الشايخ: المهاجي، القاسمي، الإبراهيمي، ابن باديس، اليلي، العقبي. الواقفون من اليمين: إبراهيم بيوض، أستاذ من الحاضرين، محمد العيد، محمد خير الدين، الأمين العمودي، محمد الزاهري

[1] - بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، من 1830 إلى 1962 ، المرجع السابق، ص 438.

الملحق رقم 2: صحيفة المنتقد [1].



المنتقد

من محاسن الصفح وبالغ الفوز والنيل صدور أول عدد من هذه الجريدة في أيام عيد النحر الشريف، فنتقدم تهنئاتنا الخالصة إلى الأمة المقربة إليه الحبيب والى العالم الاسلامي كله سائلين منه تعالى أن يعود على الجميع فيه وفي أمثاله بعوائد احسانه ويره

خطتنا

عاداتنا وشعائرنا

[1] - المكتبة الوطنية الجزائرية، جريدة المنتقد رمزها (ع 28).

الملحق رقم 3: صورة بن حبيلس و ابن التهامي [1] .



[1] -بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق ، ص 436.

الملحق رقم 4: جريدة الإقدام [1] .



الإقدام

من كلام جان ميلا مدير مكتب الولي العام
كل فاسود خصوصي أبيه واليقين سان
القوانين الخصوصية سامي الأهالي حديثه
باشتكه من أكبر حدوده وسوء الظن

والسيد بوجيجا مدير ناحية سن البرجة
الأولى للتعاهد
تحت رعاية الفانون البرلماني تجري
قوانين خصوصية بمقاطعة قاموس فرانسا

خلاصات فرانسا

وعدا من الصعوبات العديدة التي كانت تعترضها منذ
صدور العدد الأول من جريدتنا هذه
تحملنا طبع الإقدام حتى شهر جويلية
المنصرم بقصد انعام الاشتراكات
وبعد تعطيل شهر بسبب تأسيس تم قد
ظهرنا اليوم على لسان جديد مع وسائل
جديدة
جريدتنا اسبوعيه تظهر على ثلاث طبعات
طبعة باريزية وطبعة جزائرية وطبعة باقية
العربية
وسترسل موفقا لمشتركيا جريدتين احداهما
بالعراتسا ويه والاخرى بالعربية ولكن منذ
حلول شهر اكتوبر تظهر جريدتنا يالفتين
مرتين في الاسبوع بالمشتركين ان يختاروا
احدى الجريدتين ويخبرونا بذلك
ومع هذا فاننا مجتهدون لاحداث جريدة
يوميه اخبارية في فصل الشتاء القادم وتكون
بازاء الأقدام معاضدة عن مصالحنا
ان تاسيسنا الجديد الرمنا على اضافة
مساعدين لنا والسيد الفايد حمود العروف
عندكم صاحب الدراية والاسم في الدوائر
الوطنية هو مدير جديد مع الفاج عمار
وصديقنا السيد بلول المرس الدفاع من
كلية باريز هو رايس القلم الفرانساوي
ويكون كذلك العروة الواصلة مع العمل
السياسة والمحولين في فرانسا والأمر عاله
هو رايس القلم العربي
ومن جهة اخرى تزيدنا بعد عديد من
اعيان البرلمانيين واعضاء مجلس الشورى
واصحاب مصارف كبيرين فهم يدرجون
مقالات متتابعة في جريدتنا ونهاليا ان جريدة
الاقدام تونس مجالا لانها ضروريا محتوى

على جميع الاصلاحات اللازمة لاصدار
تقريب وهون اذني توبيخ
يمثل هذه الوسائل يسوغ لنا ارضا حاظر
كل من ود منا ذلك
ان الاقدام سيكون له نوبة عظيمة في تأويب
الاهالي السياسي ويجب ان يكون الجريدة
العلمي في القطر الجزائري البرلماني
مرشدة الاتحاف والوداد بين المتمرين من
سكان الوطن الجزائري
وسنجتهد بالسعي في هذا الوارد وما غاية
قصدنا اليوم كقدة الا الاتحاف والاتحاد
بين فرانسا والاسلام

اطلع عمار

المقالة الحاضرة

السياسة الفارجيـــة

ان الوفد الثاني وقف على الصلح للتوم
مع الخلافة في ١٠ اوت المنصرم وقد ساد رأي
الكثيرا رضا عن مساعي فرانسا المضمونة
لاحقيقة حالة الاشراك التي بينا الصلح
هو بالتقريب صف ملك الحد الثاني القديم
قد اضمحلت سياسة التبعية التركية والقوا
وطنهم في ذاهب الحب العزيز هم ابروس
الاقتباء بمساعدة سير احدثت قوة الدولة
الشاسيه وحاربت بالتعاسا على انكلترا
واليونان
ان تزعزع راية فرانسا في سوريا وليبان
لايكون مانع ليفقد امتيازاتها القديمة في
تلك البلاد
ماذا يحل في سوريا بالمتاريس الفارزية التي
كانت ناشرة لغة البراتساوية والكنيسة لحب
فيرانسا كان المسلمون متعلقين مع
الكاثوليكية كما صرح بذلك بحاب الباباوية
المجتمعي رأيس البعثة العلمية جمل يقين الشي
على ما كان عليه مع اليونان الارثوذكس
الغارب جهارا لكاثوليكه في الشرق
قد ادرجت جريدة الاخبار الجزائرية بقلم
مديرها باركان ماحصه ميساهو متخلف بسا
عدة سير وجعل مرابها
مع الاسلام الحزين سد لما انعدت مساعدة
جزيرة وسخرية مع تركيا وجه الصلح صار
الاسلام في حزن والخلف الاهلي يواجهه على

كأنه وقد وقعت مظاهرات بالصوم والعلاة
في الهند وبلاديها
وكل من حوليس مصي يتعصب حضوره
عليهم او يسرلب تجارة حاليه عند الجند
عنه من الاهانة مباشر ساعي الخلفاء وقعا
من مدارضات فرانسا الجالية
ليس بمكن ان يكون هذا الصلح نا تحت
قانون من تحت هذا الاجحاف بل السكان
عالما سكوت سوام وبعد ذلك يحدث
مايجعلت لان الاشياء لها ايضا بديهيتها ان
قسم المملكة العثمانية على حسب طلب
الكثيرا ماعر الاتحاد البرلمانية الكائنة بين
الشعوب ولسايقيين لاعلهم بانهم ذهبوا
ضحايا لحساب مواليد الكثيرا المتساطه
حيث ترجع الاصوات بالمظاهرات وتعد
في بكر الصوم مدى الاجيال والقسم
المسعوك بادي عبد الظلم

اسم الشي

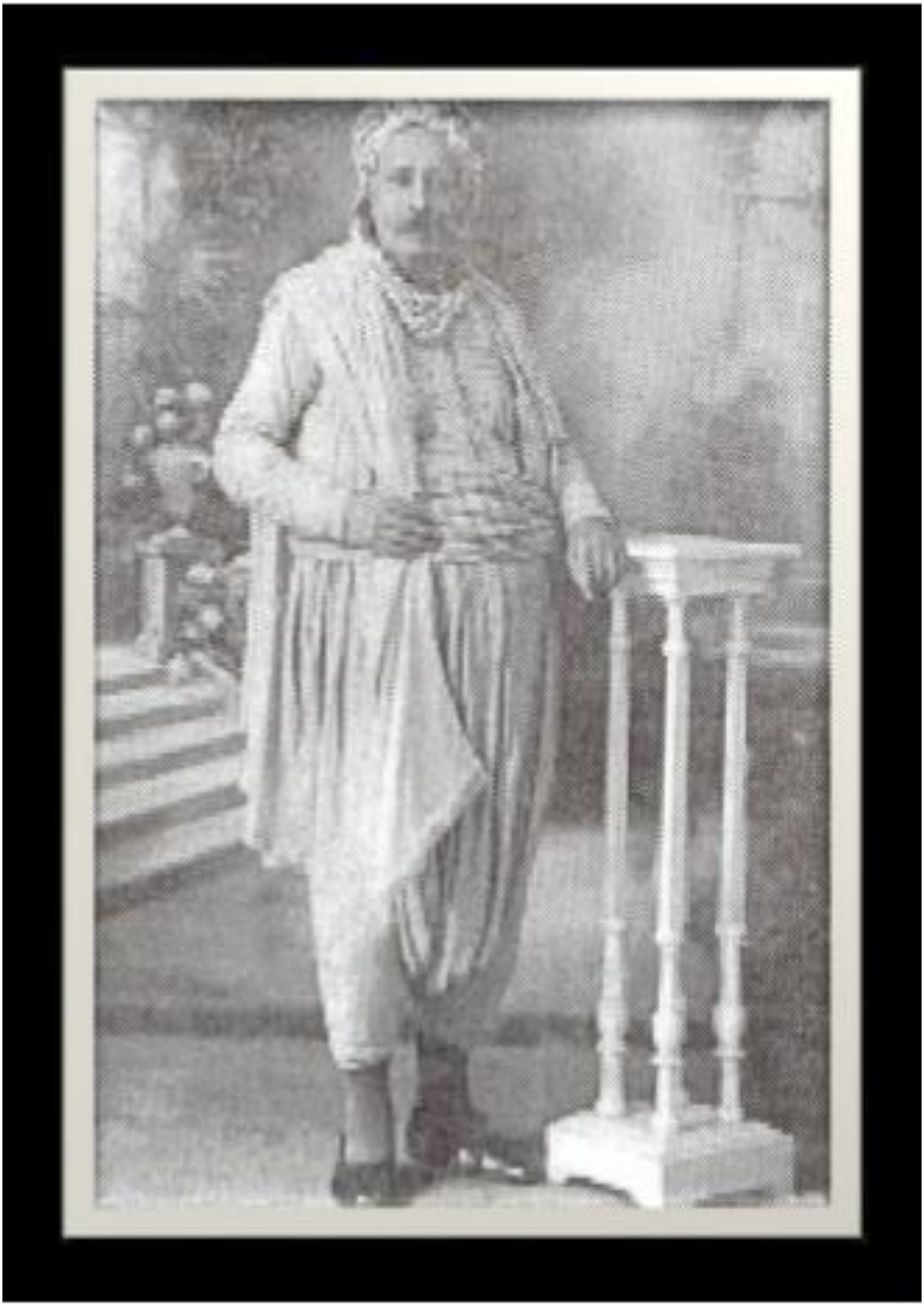
تشريفها للاستاذ بلول

لقد اعتنت جمعية مدرسة الاحسان الدرسة
التي سا حتها لها وزيارة صديقنا الاستاذ احمد
بلول وادابه لاجل تعريف اعتناءها ايضا
دعته الى مدارسها الاحدى عشر يكون الاثنين
وبعدها الاحد تناول تاكيد الكسوس واذا
برايس الاحتفال قدم في عبارات تعادل
ارتياحها الروس لهذه الزيارة قرها بهذا
السبب الجليل و بمقام الصيف الاجمل
والذي عطشه من تلك الاخطب التي ليس
لسواء السرار بلاغتها

ايها الاعضاء الاعزاء الي مشروعكم الاجتماعي
ذهبتم تتلمسون اختبارا تاريخي الاطلاع
بالاهتمام بالتعاونية ما . ولاشك انكم تعلمون
مل عزيمتكم وشدتنا التي اعترضت بها ملاتكم
بلي ان الحول بحسن اهتمام تركيا نفسها حتى
تطلب منها العدل الاحسن حتى اليوم
وهنا ساذكر بحسب ارتياحكم للوقوف على
الاحقيقة — كنت مع صديقي الجزائري السيد
فايد حمود احد اعضاء مأمور فرانسا لدى مصالحة
مجلس الاسد على شروع عند الفاضلين
وبالاصل قاضيين الى شهر اكتوبر بالجزائر وهنا
زميلته العدل والانصاف وتطلعت منه
حرارتهم وبساعيه مشروع الذي يرجوكم
الواقب عرضه الى الوزير على الاعتبارات
التي بين عليه — وبالتعجب — على هذا

[1] - المكتبة الوطنية الجزائرية، جريدة الإقدام، رمزها (م ر 4).

الملحق رقم 5: صورة محمد بن أبي شنب [1] .



1 جيلالي صاري: بروز النخبة الجزائرية 1850-1950 ، تر: عمر المعراجي ، الجزائر 2008، ص 145.

الملحق رقم 6: عريضة ضد التجنيس [1] .

قسنطينة في 10 جويلية 1887م

الحمد لله

إلى السادة أعضاء مجلس الشيوخ

إلى السادة أعضاء البرلمان باريس

سادتنا:

نحن الموقعون أسفله، مسلمو سكان الجزائر، قد تطرق إلى علمنا مشروع القانون الذي قدمه السيدان ميشلان وقوتيي، والذي يهدف إلى إدماج المسلمين جملة في الأمة الفرنسية عن طريق ما يسمى بالتجنس.

كما علمنا كذلك، أن هذا المشروع لقي قبولا حسنا من طرف عدد كبير من أعضاء جمعيتكم (البرلمان) المحترمة، وكذلك من طرف محرري الصحف الباريسية والشخصيات الأخرى التي تسعى دائما لتحسين الوضعية الاجتماعية لشعب الأهالي المسلمين، وترغب في أن تراه على قدم المساواة مع الأمة الفرنسية بخصوص التمتع بالحقوق السياسية والوصول إلى أعلى الدرجات في سلم المعارف الإنسانية، عن طريق الدراسة ونشر التعليم، وفي النهاية لغرض تحقيق تقدمه المستمر في طريق التقدم والاندماج.

هذه هي أهداف نواياكم النبيلة وعطفكم. وأنه لمن الواجب علينا أن نشكر سياداتكم الموقرة على ذلك وأن نبجل قدر المستطاع مشاعركم الكريمة غير أن هذا الاقتراح لا يلائمنا ولا يستجيب لرغباتنا من وجهة نظر الواجبات التي ستترتب عليها بالمقارنة بالحقوق والامتيازات التي سنحصل عليها كما سنوضح لكم ذلك.

وجهة النظر الأولى:

إن الدخول في الجنسية الفرنسية ستكون آثاره بالنسبة لنا هو الإلغاء الكامل لقوانيننا ونظمنا سواء فيما يتعلق بالمسائل المادية(العقارات والأملاك) أو بالأحوال الشخصية، والحال أن الكل يعلم أن القانون (الشريعة) هي أساس الدين وأنه غير مسموح لنا الخروج عن هذه الطريق السوي أما الإجراء الاحتياطي الذي اقترحه السيدان ميشلان وقوتيي والذي يرمي إلى المحافظة على بعض المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية، فهو إجراء غير كافي ولا يمكن أن تكون له أية نتيجة عملية.

[1] -قنان: نصوص سياسية ، المرجع السابق، ص 197 و ما بعدها .

وبالفعل فالمسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية عندنا هي مسائل معقدة جدا وتبرز تحت أشكال مختلفة، ويتطلب البت فيها إصدار أحكام تستند على الفقه الإسلامي من طرف القاضي الطبيعي المكلف بتنفيذها ونعني بذلك القاضي الإسلامي وليست هناك حاجة تدعو إلى التوضيح بأن هذه الأحكام ستختفي في نفس الوقت كما تختفي الشريعة نفسها بحكم الدمج داخل الأمة الفرنسية. وبالتحديد، فإن أعز ما نرغب فيه والذي نتشبث به أكثر من أي شيء آخر هو المحافظة على شريعتنا، فإخضاعنا بالجملة وبدون قيود للجنسية الفرنسية سيجرنا إلى ترك تقاليدنا مما سينجم عنه اضطراب في عوائدنا. ذلك أنه يوجد في القوانين الفرنسية ترتيبات تتعارض وتتناقض تناقضا مباشرا مع شرائعنا وحتى مع روح المعتقدات الإسلامية نفسها.

وجهة النظر الثانية:

إن الحقوق التي ستمنح للمسلمين ستكون من نوعين مختلفين:

1-الحق في الوظائف والمناصب من كل نوع.

2-المساواة التامة مع الفرنسيين في الحقوق السياسية وأمام القوانين الانتخابية.

وبناء على هذا، فالشيء الذي لا يقبل الجدال هو أنه لكي يعين المسلمون في وظائف يجب أن يستوفوا الشروط المطلوبة بخصوص الكفاءة والاستعباد، وهذا يتطلب مسبقا التوفر على مؤهلات جامعية والحصول على قدر كاف من العلم والمعارف الضرورية لشغل هذه الوظائف وهو الشيء الذي ينقسهم بالضبط، انعدام الكفاءة وغياب المؤهلات المتخصصة. أما فيما يتعلق في ممارسة الحقوق الانتخابية بكيفية سليمة ولمصلحتهم فهذا لن يتسنى دون جلب اللوم عليهم-إلا إذا توفرت فيهم الشروط الآتية:

العلم والحرية والاستقلال:

وللأسف فمسلمو الجزائر متخلفون من زاوية التعليم والتمدن الفرنسي فالأغلبية منهم بمعنى سكان الريف هم أميون تماما قابعين في جهالة مطلقة ولا يسترشدون إلا بنزوات قادتهم ورؤسائهم الذين يخافون منهم غريزيا، خوفا شديدا. وفي ظل هذه الظروف فإن هؤلاء السكان ليسو مستعدين وغير قادرين على استخدام الحقوق الانتخابية استخداما جيدا فالواقع المنحط الذي هم عليه لا يسمح لهم بالاستفادة من هذه الامتيازات بالتمتع بالمنافع التي يمنحها التجنس وعلى ذلك فالهدف المتوخى منها لم يتحقق.

وهكذا فإن أول إجراء يستوجب اتخاذه هو اعتماد طريقة تهدف إلى تبديد ظلام الجهالة عن طريق إنشاء المدارس ونشر التعليم وتوفيره للأهالي الصغار الذين سيتم إعدادهم لهذه الطريقة لاستقبال الإصلاحات النافعة التي ستؤدي إلى التمدن وإلى الاندماج لأنه لا يمكن الحصول على نتائج في هذا المضمار إلا بالتدرج. ونتيجة لكل هذه الملاحظات زمن أجل إبعاد كل لبس في أذهان سياداتكم فإننا أخذنا المبادرة بعرض هذه البراهين عليكم والمطالبة في هذا المكتوب في نفس الوقت باسمنا نحن هيأة أهالي الجزائر المسلمين بأن الشيء الوحيد الذي يلائمنا هو المحافظة على وضعنا الاجتماعي وعلى شريعتنا المدنية منها والدينية وعلى كل الأمور التي ما انفكت الحكومة الفرنسية تحميها منذ أكثر من خمسين سنة وهي بعملها هذا كانت تسترشد بروح واهتمام سياسي عالي وكذلك من أجل احترام ما نصت عليه معاهدة استسلام الجزائر عام 1830م، وهو الوقت الذي دخل فيه بلدنا تحت حكم فرنسا .

ونحن واثقون أن الحكومة الفرنسية المتشبعة بروح العدل المبني على الحرية سوف لن تفرض على رعاياها إجراء على هذه الدرجة من الخطورة بدون أن يسبق ذلك طلبا صريحا منهم بهذا الشأن خاصة وأن الباب مفتوح حسب القوانين الجارية أمام كل أحد يرغب في الاستفادة من التجنس وفق مبادرة حرة نابعة من اختياره.

وبعد هذا، فإننا نعتقد أنه من واجبنا إخباركم بأن هناك مسائل هامة تتعلق بتحسين ظروف حياة المسلمين وتطوير العلاقات الودية بينهم وبين مواطنيهم من الفرنسيين تستحق البحث والدراسة الجادة كنوع من الإجراءات التمهيدية للاندماج للجنسين في المستقبل: نورد منها:

1-تنظيم المدارس العربية ودراسة الطرق والوسائل لجعلها في متناول كل المسلمين.

2-منح الأهالي الأعضاء في المجالس العامة نفس الحقوق التي تمنحها للأعضاء الفرنسيين في مهامهم الحالية بدون أي قيد، بمعنى إلغاء التمييز الموجود حاليا فيما يتعلق بانتخاب شيوخ البلدية وكذلك فيما يتعلق بحق الانتداب في المجالس العامة إلى المجلس الأعلى في الجزائر، حيث لا يوجد لنا تمثيل فيه للدفاع عن حقوقنا وبعبارة واحدة المساواة التامة بين أعضاء الهيئات الانتخابية على أي مستوى كان.

3-اتخاذ إجراءات لوقف الضرر الذي نعاني منه من جراء التنظيم الجديد للقضاء الإسلامي الناجم عن مرسوم 10 سبتمبر 1986م.

4-قيام الحكومة باتخاذ إجراء يسمح للعمالات الجزائرية بأن يكون لها نواب مسلمون منتخبون بواسطة اقتراع من طرف أبناء ملتهم بشروط يتم تحديدها وسيكلف هؤلاء النواب بتمثيلهم في البرلمان

والذين يمكن اختيارهم من العرب أو من الفرنسيين. وبهذه الكيفية يوضع حد لعملية حرمان السكان الذين يتجاوز عددهم الثلاثة ملايين من عدم وجود وسيط–الذي هو في أشد الحاجة إليه– بيننا وبين الحكومة الفرنسية للدفاع عن حقوقنا ويشرح لكم كل المسائل التي تكون لنا فيها مصلحة أو يكون من شأنها إلحاق الضرر بنا.

أما بخصوص الممثلين الحاليين لكل الجزائر، فإنهم انتخبوا من طرف العنصر الفرنسي وحده فهم لا يستطيعون الدفاع عن حقوقنا بالاستقلالية المطلوبة خاصة عندما تكون هاته الحقوق تتعارض (أو تبدو كذلك) مع مصالح موكليهم. إنه لمن المبادئ المرعية أن مندوبا واحدا لا يحق له التصرف انطلاقا من تفويض من طرف واحد في مسألة تتعارض فيها مصلحة الطرفين ومن هذا القبيل تندرج المسائل التي لها علاقة بالنظم الضريبية والرسوم المختلفة الجارية في العمالات الجزائرية فالإصلاحات المطلوبة في هذا المجال يجب أن تستند على مبدأ العدل والإنصاف في توزيع الأعباء الذي يحفظ حقوق الدولة بدون أن يلحق أي ضرر كان بمصالح الممولين .

كما أن مسألة تكوين الملكية والإصلاحات التي تتضمنها تحتاج هي كذلك إلى دراسة. وباختصار، هذه المسائل وقضايا أخرى كذلك التي تختص بها الجزائر والتي سيكون من الإملال القيام بتعدادها، تستحق اهتمامكم وتتطلب دراسة جديدة من طرف سيادتكم.

ولأجل هذا حضرات السادة أعضاء البرلمان، فإننا نترجاكم أن تقوموا بتعيين لجنة مختارة من بينكم تكلف بالقيام بجولة في العمالات الجزائرية لإجراء تحريات واسعة للتعرف على وضعية الأمور وسماع مقترحاتنا وبحث مطالبنا، بهذه الطريقة ستتعرفون على حقيقة الأمور بشكل دقيق وستظهر لكم الحالة كما هي بدون غطاء وستدركون كما ستدرك الحكومة من جهتها أين يكمن طريق العدل والإنصاف عند تطبيق القوانين التي تخصنا وأعداد الإصلاحات المتعلقة بنا. ونحن من جهتنا سنتمكن بهذه الطريقة من وضع حد للأضرار التي نعاني منها وخاصة الناجمة من تطبيق المرسوم المتعلق بالقضاء الإسلامي الصادر في 10 سبتمبر 1886م.

وبالفعل منذ بدء تطبيق هذا المرسوم، على الرغم من أننا مقتنعين منذ البداية بكونه يتعارض مع كل ما كنا نأمل فيه ومع ذلك فإننا لم نرفع أي شكوى ضده ذلك أننا كنا نرى بعد وقت وجيز من بدء تنفيذه فإن السلطات القضائية ستتبين هي بنفسها الأضرار المترتبة على تطبيقه، وهي الأضرار التي يقع عبئها على المسلمين وأن هذه السلطات ستتأكد بكون هذا المرسوم سيئا من جميع جوانبه.

هناك حادث يبرهن لكم على أن هذا المرسوم مضر بالأهالي في المناطق الجزائرية هو أنه أثناء زيارة السادة الوزراء صحبة الوالي العام خلال شهر أفريل المنصرم، فان عددا كبيرا من الممثلين أعضاء الهيئات الانتخابية وكذلك أشخاص كثيرين من المقاطعات الثلاثة أدركوا أن من واجبهم أن يضعوا بين أيديهم (الوزراء والوالي العام) شكاوي بنوا فيها مآخذهم على هذا المرسوم، منها النقاط الرئيسية الثلاثة الآتية:

1-الشعور بالغبن والذل بتطبيق هذا القانون الذي يرمي إلى إبطال الشريعة الإسلامية في عناصرها الأساسية بتجريد قضاتها الطبيعيين من الحق في الفصل في القضايا التي ليست لها علاقة بالأحوال الشخصية، القضايا المدنية الممتلكات والعقارات وتحويل هذا الحق إلى القضاة المدنيين.

2-التأخير والتسويفات التي يعانون منها قبل الفصل في قضاياهم من طرف القضاة المدنيين بسبب عدد هؤلاء من جهة ولأنهم لا يعقدون جلساتهم إلا مرة واحدة في الأسبوع ولمعالجة شؤون أخرى كذلك من جهة أخرى. لقد نجم عنها أن كثيرا من الناس يمسكون عن تقديم شكاواهم مفضلين التخلي عن مصالحهم وهذه الحالات تظهر على الخصوص في النزاعات التي تستوجب البت السريع مثل تلك التي تحدث في الأسواق فالناس يضطرون إلى التّخلي عن حقوقهم تجنبا للتأخيرات والمصاريف.

وبالفعل فإن معظم النزاعات التي تحدث بين المسلمين هي حول أمور قليلة الأهمية ومحدودة القيمة وإذا قمنا بحصر عدد الأحكام التي صدرت من طرف القضاة المدنيين والتي تخص المسلمين في هذه الفترة وقارناها بعدد الأحكام التي أصدرها القضاة(المسلمون) لنفس الفترة فإننا سنلاحظ أن مصالح الناس النقدية أصبحت مهددة بالخطر والشكاوي التي يرفعونها للاستخلاص حقوقهم هي في تناقص مستمر.

3-مصاريف القضاء التي تثقل كاهل الناس كثيرا. وبما أن شكاواهم كثيرة ومعظمها تتعلق بأمور ليست بذات أهمية والتي كانت في الماضي يبت فيها القاضي بدون أية مصاريف فإنه سيكون من العدل إذن أن تبقى المعاملات التجارية والعقارية وكل الأمور الأخرى من صلاحيات القاضي وهذا من أجل مصلحة المتقاضين أنفسهم ولغرض تسيير الحلول وتخفيض النفقات وبعبارة أخرى من أجل التسهيل والسرعة في البت والاقتصاد.

فالسادة الوزراء قد وعدونا بأنهم سوف لن يهملوا مطالبنا بل على العكس فإنهم سيهتمون بها وسيعملون على رفع الأضرار التي تعاني منها. إننا سنجدد اليوم أمامكم مطالبنا ونترجي سيادتكم

السامية ومن الحكومة أن تنظروا إلينا بعين الرحمة والشفقة، إننا نتوسل إليكم تأجيل تطبيق مرسوم 10سبتمبر 1886م، وإعادة العمل بالقضاء الإسلامي بنفس الشروط التي كان يعمل فيها في السابق بمعنى حسب ترتيبات مرسوم شهر ديسمبر 1866م. وإذا ما تعذر إلغاء المرسوم المشار إليه إلغاء تاما فلتراجع تفاصيله من أجل وضع حد للمضايقات التي نعاني منها من جراء تطبيقه.

ونطالب أولا: بأن للمتقاضين الحق في اختيار الجهة القضائية التي يوكل إليها الفصل في نزاعاتهم القاضي(الشرعي) أو القاضي الفرنسي إذا ما اتفقوا على ذلك. أما إذا اختلفوا فإن المدعي هو الذي يكون له الحق في الاختيار وهذا الإجراء يتماشى مع مبادئ الحرية التي يجب أن يتمتع بها كل واحد مع مبادئ القانون، وبالفعل، فإن أحدا لا يجهل بأن قبول الطرفين لأية جهة قضائية أو لأي تحكيم مع الصلاحيات الغير محدودة، فإن هذا لا يتعارض مع القواعد الشرعية.

كما نطالب أيضا بأن الفصل في النزاعات التي تحدث حول أمور تتراوح قيمتها ما بين خمسة إلى مائة فرنك تبقى من صلاحيات القاضي(الشرعي) لغرض تخفيض المصاريف بقدر المستطاع ومن أجل سرعة البت، خاصة بالنسبة للمسائل التي تستوجب البت فيها بسرعة كتلك التي تحدث بين الناس في السوق وقد جاؤوا من بعيد من أجلها ويتحتم عليهم العودة مباشرة في نفس اليوم إغلاق السوق.

ثانيا: نطالب كذلك بأن يبقى الفصل في النزاعات التي تخص شؤون الزراعة من صلاحيات القاضي وهي قضايا يتطلب الفصل فيها عادة الاعتماد على الأعراف والتقاليد التي هي تختلف من جهة إلى أخرى حسب الأماكن والعادات في مختلف المناطق الجزائرية ويمكن أن نقارن هذه الأعراف بمجالس البريدوم، التي هي محاكم خاصة عند الفرنسيين والتي تخرج أحكامها في بعض الأحيان عن قواعد القانون.

هذا هو العرض لرغبتنا وشكاوانا الذي نتقدم به إلى كرم سياداتكم، واثقين من أنكم ستقبلونها وستقومون باتخاذ إجراءات لتحسين حالنا وإبعاد الأضرار التي نعاني منها عناء. وإننا سنكون معترفين لكم وإلى الأبد بالجميل، وندعو الله أن يجعل حكومة فرنسا المجيدة دائما، دائما قوية، منتصرة وموفقة.[1]

الملحق رقم 7: سي امحمد برحال [1] .



[1] - جيلالي صاري: بروز النخبة الجزائرية 1850-1950 ، تر: عمر المعراجي ، الجزائر 2008، ص 150.

قائمة

المصادر

والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

قرآن كريم، سورة الحج.

أولا: المصادر و المراجع بالعربية .

1 - المصادر:

1) ابن منظور، لسان العرب، ج6، دار المعارف، القاهرة د ت .
2) أبو العباس أحمد بن الهاشمي، بعد غربة اللغة العربية، جريدة البصائر العدد8، فبراير 1937.
3) بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ط 2، دار الشاطبية للنشر و التوزيع،الجزائر 2012 .
4) شارل اندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، تر: المنجي سليم و آخرون، الدار التونسية و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976 .
5) شارل روبير آجيرون، الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871-1919، ج2، تر: م. حاج مسعود، ع بعريبي، دط، دار الرائد، الجزائر، 2007 .
6) شارل روبير اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، ج2، تر: جمال فاطمي و آخرون، ط1، دار الأمة، الجزائر،2008،
7) الشريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي و آخرون ، ط1(د.ب.د.ن.ت)، الجزائر،2009 .
8) فرانز فانون، سوسيولوجية الثورة، تر: فردوغان قرفوط، ط1، الطليعة، بيروت،1970 .
9) فرحات عباس، ليل الاستعمار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
10) الفريد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، منذ الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

2 - المراجع

1) إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي و الثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر 2013 .
2) إبراهيم مياسي، إرهاصات الحركة الوطنية، مجلة المصادر، العدد6، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954، مارس 2002، الجزائر.

3) ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، ط 1، تق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية مصر 1963.

4) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983.

5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6 .

6) أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ و التطبيق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1980-1945 .

7) إسماعيل العرب، موقف مساهمة المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر ، مجلة الأصالة ، السنة الثالثة ، العدد 14 – 15 عام 1973 .

8) إسماعيل سامعي، مجهود الاستعمار في تأصيل تاريخ الجزائر خلفية لمشروع الاستلاب الثقافي، المعيار، العدد10،سبتمبر 2005 .

9) أمينة علاق، نخبة أم النخب: قراءة في المفهوم، الأدوار أو الإشكاليات، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد 28، مارس 2017 .

10) أنور الجندي، العالم الإسلامي و الاستعمار السياسي و الاجتماعي و الثقافي، ط 2، مدرسة المكتبة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان1983 .

11) برهان غليون، في النخبة و الشعب،حوار: لؤي حسين، ط 1،دار بتر للنشر و التوزيع، سوريا2010 .

12) بوتومور توماس، الصفوة و المجتمع، دراسة في علم الاجتماع السياسي، تر: محمد الجوهري و آخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر1988 .

13) جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار دراسات في التاريخ المعاصر، مج6،دط، منشورات وزارة المجاهدين الجزائر، 2009 .

14) جميل حمداوي، سوسيولوجيا النخب (النخبة المغربية أنموذجا)، ط1، شبكة الألوكة، المغرب 2015 .

15) جيلالي بلوفة عبد القادر، قيمة ووزن الكتابة التاريخية في المشروع الاستعماري الفرنسي الوسائل و النتائج، مجلة المعيار.

16) حامد ربيع، الحرب النفسية في المنطقة العربية، ط 1، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1974 .

17) الحسين مادي، الساسة التعليمية بالمغرب و رهانات المستقبل، منشورات مجلة علوم التربية، المغرب، 2004 .

18) خالد بوهند، الأصول الاجتماعية و الخلفيات السياسية و الثقافية للنخبة الجزائرية الفرنكفونية، مجلة المقتطف المصري التاريخية، السنة الأولى، العدد 1، جوان 2014 .

19) خليل صابات، و سائل الاتصال نشأتها و تطورها، ط 6، القاهرة، المكتبة الانجلو-مصرية، 1990.

20) خيثر عبد النور و آخرون، منطلقات و أسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954.

21) درار أنيسة بركات، أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

22) رابح تركي، التعليم القومي و الشخصية الوطنية .

23) الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج3 .

24) زبير سيف الإسلام، صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1988.

25) الزبير يقدح، المدرسة الاستعمارية في الجزائر، مجلة المعيار.

26) سعاد سطحي، وسائل المشروع الثقافي الاستعماري في القضاء على الهوية الوطنية، مجلة المعيار، قسنطينة، العدد10، سبتمبر2005 .

27) سليم بتقة، المتخيل الكولونيالي من وهم المكتوب إلى زيف المرئي المضمر و المنظور، مجلة المخبر، العدد08، جامعة محمد خيضر، 2012 .

28) سناء كاظم كاطع، المنطلقات الفكرية للحركة الإسلامية الجزائرية و جدلية العلاقة مع النظام السياسي، مجلة الدراسات الدولية، العدد 45، 2010 .

29) شبل بدران، التربية المقارنة دراسات في نظام التعليم ، ط 4(مزيدة ومنقحة)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،2004 .

30) شوقي عطا الله جمل، الأزهر و دوره السياسي و الحضاري في إفريقيا، مركز وثائق و تاريخ مصر

31) صافية كساس، الرحلات العلمية من و إلى المغرب العربي و دورها في تنشيط الحركة العلمية و التعليمية بالمغرب العربي، مجلة الممارسات اللغوية، العدد08، 2011 .

32) صالح فركوس، تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال "المراحل الكبرى" دار العلوم للنشر و التوزيع، عنابة 2005 .

33) الطاهر عمري، النخبة الجزائرية و قضايا عصرها من بدايات القرن العشرين إلى ما بين الحربين العالميتين، دط، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009 .

34) عايدة أديب، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1960، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 .

35) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، شركة دار الأمة، الجزائر، 2014 .

36) عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى (1920-1936)، ج1،ط1، م.و.ك، الجزائر، 1984 .

37) عبد القادر جغلول، الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر، تر: سليم قسطون، ط 1، دار الحداثة، الجزائر، 1984 .

38) عبد الله بوخلخال، وضع اللغة العربية في الجزائر مجلة لغتنا العربية في معركة الحضارة، القاهرة، العدد السابع و الثامن عشر، ماي 1997 .

39) عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962 مشارب ثقافية و إيديولوجية، (م.و.ن.إ)، ط2، الجزائر، 1995 .

40) عبد الله كبار، النخبة الجامعية و المجتمع المدني في الجزائر: قراءة سوسيولوجية في جدلية الواقع و الممارسة، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، العدد1، جوان 2013 .

41) عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج 6، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1995 .

42) عبد الوهاب بن خلف، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط 1، دزاير انفو، الجزائر، 2013 .

43) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940، ترجمة: محمد يحياتن، د-ط، دار الحكمة، الجزائر، 2007 .

44) عمار بلحسن، انتليجنسيا أم مثقفون في الجزائر، دار الحداثة للطباعة و النشر، بيروت 1986.

45) عمار هلال، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.

46) عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954، ط 3، دار هومة، الجزائر، 2009 .

47) عمر بن قينة، أعلام و أعمال في الفكر و الثقافة و الأدب دراسة، دط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

48) عيسة بن قبي، بنية الإستراتيجية الاستعمارية في القضاء على النظم الاجتماعية والثقافية في الجزائر 1830 .

49) فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937م المنطلق السيرورة المآل، دار الخلدونية للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر 1913.

50) فضيل دليو، مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980 .

51) كمال لدرع، المحاولات الاستعمارية لتفكيك الأسرة الجزائرية، المعيار.

52) محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية(1919-1939)، ج1، تر: محمد بن البار، ط خاصة، دار الأمة، 2011 .

53) محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي، دراسة في الذهنيات و البنيات و المالات، دار ابن النديم، الجزائر، 2009 .

54) محمد الميلي، الجزائر و المسألة الثقافية التناقصات الثقافية، المستقبل العربي، ع 44، م.د.و.ع، نوفمبر 1982 .

55) محمد خير الدين فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989 .

56) محمد عابد الجابري، التعليم في المغرب العربي دراسة تحليلية نقدية لسياسة التعليم في المغرب تونس الجزائر، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1989 .

57) محمد ناصر، الصفحة العربية الجزائرية من 1847 – 1939 الجزائر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1980

58) محمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون، دار المعارف، مصر، 1970 .

59) مراد بن سعد، صالح زياني، النخب و السلطة و الأيديولوجيا في الجزائر: بين يناء الدولة و التغير السياسي، مجلة المستقبل العربي، العدد 430، ديسمبر 2014، حسن حنفي حسنين، قضايا معاصرة في الفكر العربي المعاصر، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة 1997 .

60) معلمة المغرب، ج22، الجمعية المغربية للتأليف و النشر و الترجمة، مطابع سلا، 2005 .

61) مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1987 .

62) المنجد في اللغة و الأدب و العلوم، ط18، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،

63) مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج2، ط2، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر2007 .

64) مولود قرين، عمر قدور الجزائري دوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1886-1932)، ج1،ط خاصة، دار الخليل، الجلفة، 2013 .

65) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات و آفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000.

66) نعمان عباسي، الحكم الراشد و أولوية ترتيب المشهد النخبوي الجزائري، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد10، سبتمبر2010 .

67) نوارة حسين، المثقفون الجزائريون بين الأسطورة و التحول العسير بين سنوات الجمر إلى سنوات النهب من بداية القرن 20 إلى غاية الاستقلال، تر: سعيدي فتحي، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، موفم للنشر، الجزائر2013 .

68) يحي بوعزيز، الاتجاه اليمني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوص 1912-1948، ط خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009 .

69) يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحزبين العالميين (1919-1939)، دط، م.و.ك، الجزائر، 1988 .

3 - الجرائد و المجلات

1) إبراهيم مهديد، النخبة التلمسانية و دورها الثقافي و السياسي و الاجتماعي من نهاية القرن التاسع عشر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، مجلة أفكار و آفاق، العدد3، الجزائر2012.

2) البصائر، السنة الرابعة العدد 171، قسنطينة 22-06-1939م .

3) جريدة المنتقد، جمع و اعتناء الهادي قطش، د ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009،

4) عيون البصائر، دار المعارف، القاهرة 1963 .

4 - الأطروحات و المذكرات الجامعية

أ - رسائل الدكتوراه

1) الجمعي خمري، حركة الشبان الجزائريين و التونسيين (1900-1930)، دراسة تاريخية و سياسية مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر (مرقونة)، جامعة قسنطينة، 2002-2003 .

2) رابح دبي، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر و دور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها (1830-1962): دراسة نظرية تحليلية، رسالة دكتوراه في علوم التربية، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.

ب -رسائل الماجيستير

1) بكاكرية جودي، المثقفون و إشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائر (دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني و مصطفى الأشرف)، رسالة ماجيستير في علم الاجتماع الثقافي و التربوي، جامعة الجزائر 2008- 2009 .

2) بلقاسم نادية سماتي، دور محمد بن ابي شنب في النهضة الفكرية في الجزائر، رسالة ماجيستير في علم الاجتماع الثقافي، الجزائر، 2005-2006، مرقونة.

3) بو عبد الله عبد الحفيظ، فرحات عباس بين الإدماج و الوطنية (1919-1962)، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2005- 2006 .

4) العكروت خميلي، جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين الجزائريين 1909- 1956، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2008-2009

5) فاتح باي، دور الجامعة الجزائرية في إنتاج النخبة المثقفة، رسالة ماجيستير في علم اجتماع التربية، جامعة سطيف، 2014-2015 .

6) كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس و التطور (1850-1951)، رسالة ماجيستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث و المعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة 2007-2008 .

7) لزهر بديدة، موقف لاديباش دي كوستونتين من اندلاع الثورة، رسالة ماجيستير في التاريخ، 1995 .

8) ناصر بلحاج، مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري(1912-1916)، شهادة الماجيستير (مرقونة)المدرسة العليا للآداب و العلوم الإنسانية بوزريعة، 2004-2005 .

9) وفاء نعاسي، الطلبة الجزائريون الزيتونيون و الحركة الإصلاحية الجزائرية، (1900-1954)، مذكرة الماستر(مرقونة)، جامعة بسكرة، 2013-2014 .

ثانيا: المراجع بالفرنسية

1) AMOM, Fu F80/1571, éducation des jeunes Arabes en France 1839-1847* note pour le ministre de la guerre à monsieur le conseiller de l'état paris 18 septembre 1845.
2) Benjamin STORA, Messali Hadj et crèation de l'étoile nord-africaine en 1926, Histoire de l'Algerie a la période coloniale, éditions la découverte, paris2014.
3) Camille Risler , La politique Culturelle de la France en Algérie Objectifs et Limites , (1830-1962) éd , L'Harmattan , 2007 .
4) Charles Robert Ageron. Les Algériens Musulmans et la France 1871-1919 tome 1, Puf , 1968.
5) Cherif BENHABILLES, L'Algérie française, Vu par un indigène, édition, imprimerie orientale, fantana frères, Alger 1914.
6) De Feuillide, l'Algérie française.
7) Desvages H, L'Enseignement des Musulmans En Algérie sous le Rectorat Jenmaire in Mouvement Sociale, 1970.
8) Dictionnaire Hachette, Edition Hachette, Paris, 2005.
9) Fanny Colonna, instituteurs Algeriéns, 1883-1939, OPU, Alger, 1975.
10) Fredj, revue africaine, 1929, bulletin de la société historique, imp, la pypolitt, ros, et jul carbonal, in, Alger .
11) GAUTIER Emile-Félix, UN Siècle de Colonisation: étude au microscope, librairie Félix, Alcan, MCMXXX, paris 1930.
12) GYPERVIELLE? Les Etudiants Algériens des Universités Françaises, 1880-1962 Edition Casbah, Alger, 2004.

13) Hubert, DESVAGES, LA Scolarisation des muslumans en Algérie (1882-1962) dans l'enseignement primaire public français, Etude statistique, cahier de la méditerranée, n4,1, juin 1972.
14) Jacques SIMON, Messali Hadj (1898-1974), la passion de l'Algérie libre, éditions firésias, paris 1998.
15) Kamel KATEB, Les séparation scolaires dans l'Algèrie coloniale, Revu Insaniyat n 25-26 année 2004.
16) Mahfoud KADDACHE, Histoire du nationalisme algérien, question natinale et politique algzrienne, 1919-1951, tome2, société nationale d'édition et de diffusion, Alger 1980.
17) Narcisse Foucon, le livre d'or de l'Algérie, Tome 1 – biographiies, Callamel et Cie, Editeurs Paris.
18) R. Caudefray Demomines. L'eouvre française en nature d' enseignement, paris SN , 1928.
19) Rabah, Kahiout, Le Pétrole Algérien, E.N.A.P? Alger, 1974.
20) Violette Maurice , L'Algérie Vivra-T'elle , Paris, 1931..

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى **الصفحة**

الإهداء

الشكر و العرفان

قائمة المختصرات

المقدمة..... أ

المبحث الأول : تكوين النخب الجزائرية و مرجعيتها الفكرية.....09

المطلب الأول: مفهوم النخبة.....09

1 - من الناحية اللغوية 09

2 - من الناحية الاصطلاحية 11

المطلب الثاني: مؤثرات تكوين النخبة.....14

1 - الثقافة و دورها في تكوين النخب 14

2 - الدين الإسلامي و تأثيره في تكوين بعض النخب الجزائرية..... 17

3 - الاستعمار و تأثيره في تكوين النخب 19

المطلب الثالث: الاتجاهات الفكرية للنخبة و وسائل نضالها.....23

1 - اتجاهاتها الفكرية 23

أ - الاتجاه الإدماجي 23

ب -الاتجاه المزدوج الثقافة (عربي – فرنسي) 24

ج - الاتجاه الإصلاحي 25

2 - وسائل نضال النخبة الجزائرية 26

أ - الصحافة 26

ب -الجمعيات و النوادي الثقافية 28

ج - العرائض 30
د - التمثيل النيابي 32
المبحث الثاني: السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر.....36
المطلب الأول: وسائل السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر.....36
1 - محاربة اللغة العربية **36**
أ - إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية **37**
ب -التركيز على العربية العامية **39**
ج - المدارس البربرية **41**
د - محاولات النهوض باللغة العربية **43**
2 - سياسة فرنسا اتجاه التاريخ العربي الإسلامي 45
أ - الاهتمام بتاريخ الجزائر 46
ب -التشكيك في الأحداث التاريخية المصيرية في تاريخ الجزائر 46
ج - توظيف التاريخ لخدمة الاستعمار 47
3 - السياسة التعليمية وسيلة لتنفيذ السياسة الثقافية الاستعمارية..... 49
4 - توظيف الإعلام كوسيلة ثقافية 50
أ - الصحافة الاستعمارية 50
ب -الإذاعة 52
5 - توظيف الفن في تنفيذ السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر..... 54
أ - المسرح 54
ب -السينما 56
المطلب الثاني: أهداف الثقافة الفرنسية في الجزائر.....57
1 - الأهداف السياسية 57
أ - الاستيطان **58**
ب -إدماج الشعب الجزائري **59**
2 - الأهداف الاقتصادية 61
3 - الأهداف الاجتماعية 64
أ - ضرب الوحدة الاجتماعية (فرق تسد) 64

ب -استهداف المرأة الجزائرية 66

المبحث الثالث: النخبة الجزائرية و الثقافة الفرنسية..... 70

المطلب الأول: أثر المدرسة الفرنسة في ترسيخ الثقافة الفرنسية..... 70

1 - مهمة المدرسة الفرنسية 70

2 - إستراتيجية إدارة الاحتلال لتوظيف المدرسة كأداة توغل في المجتمع الجزائري..... 71

المطلب الثاني: موقف النخبة من السياسة الثقافية الاستعمارية..... 72

1 - موقف النخبة المحافظة 72

أ - موقفهم من التعليم 72

ب -موقفهم من الإدماج و التجنيس 75

2 - موقف النخبة المفرنسة 76

الخاتمة..... 80

الملاحق..... 83

قائمة المصادر و المراجع..... 96

فهرس المحتويات..... 106